مجلة جامعة الملك عبد العزيز : العلوم الهندسية ، م ١٠ ع ١ ، ص ص ٣-٥٠ (١٤١٨هـ / ١٩٩٨م)

النمط العمراني التقليدي للمدينة المنورة

محمد عبد الرحمن الحصين

قسم العمارة وعلوم البناء ، كلية العمارة والتخطيط ، جامعة الملك سعود

الريـــاض - المملكة العربية السعودية

المستخلص . تهدف هذه الدراسة إلى تحديد معالم النمط العمراني التقليدي للمدينة المنورة ووصف جميع أجزائها في فترة ما قبل الخمسينيات الميلادية . وقد اعتمدت الدراسة على وصف وتحليل للعناصر العمرانية البارزة ، واستخدامات الأراضي ، والحركة ، ونمط الشوارع ، والحارات ، والأحواش . وللتعرف على النمط العمراني ، قُسمت المدينة المنورة إلى خمس كتل عمرانية ، اتصفت كل واحدة منها بخصائص مميزة ، تم من خلالها استنتاج الفروق في النمط العمراني . كما اشتملت الدراسة على تحليل للكتل والفراغات العمرانية مع استنتاج لمساحات الأحواش ، والبساتين ، والمباني العامة ، والطرقات ، والمساكن ، وبيان نسبها في كل كتلة من الكتل العمرانية الخمس .

١. المقـــدمـــــة

المدينة المنورة مثوى رسول الله ﷺ ، وعاصمة الإسلام الأولى ، تفد إليها أفواج الحجيج والزوار كل عام للصلاة في مسجد رسول الله ﷺ ، والسلام عليه ، وعلى صحابته وآل بيته الكرام . ولقد ضمت هذه المدينة بين جنباتها العديد من المواقع الأثرية التي شهدت جهاد رسول الله ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم ، وسجلت تاريخ قيام الدولة الإسلامية ، وتسيير الجيوش لإعلاء كلمة الله ونشر الإسلام في مختلف الأمصار . ولقد اهتم الخلفاء والحكام المسلمون بشؤون المدينة المنورة ، حيث قاموا ببناء الأسوار والقلاع لحمايتها ، وتوسعة مسجد رسول الله ﷺ ،

وتشييد المدارس والمكتبات والأربطة وغيرها من المصالح العامة . وبذلك أضحت المدينة المنورة زاخرة بالعديد من المواقع والمباني الأثرية التي يتوجب الحفاظ عليها .

ومنذ فترة قريبة كانت المدينة المنورة تتميز بنمط عمراني تقليدي فريد أملته خلفيتها التاريخية ومكانتها الإسلامية . وكان للمدينة نصيب الأسد من المؤلفات التاريخية التي ألفها العديد من المؤرخين والزوار والمستشرقين الذين سجلوا مشاهداتهم عنها على مر العصور . ومع هذا فقد ظلت الناحية العمرانية قاصرة عن الوصف والرصد والتحليل ، واستنباط الخصائص التي يتصف بها عمران المدينة بمختلف عناصره ومركباته . وقد واجهت المدينة المنورة مؤخراً تغيراً جذرياً في نمطها العمراني ، مما أدى إلى طمس معالمها العمرانية التقليدية ، واختفاء حاراتها وأزقتها وميادينها القديمة . وهنا تأتي أهمية توثيق المدينة القديمة في مقدمة الدراسات العمرانية ، وإعطاء ذلك الأولوية والاهتمام .

تهدف هذه الدراسة إلى توثيق النمط العمراني التقليدي للمدينة المنورة ، وتحديد سماته المميزة ، ووصف عناصره البارزة . ولتكامل الدراسة تم استيفاء المعلومات عن استخدامات الأراضي ، ونمط الشوارع والطرقات وأسلوب الحركة فيها ، ووصف الحارات والأحواش . ولسهولة التعرف على النمط العمراني التقليدي قسمت المدينة المنورة إلى خمس كتل عمرانية لكل منها خصائصها ومميزاتها . ومن هذا التقسيم أمكن القيام بتحليل واستنتاج مساحات ونسب المباني والمساكن والطرقات والأحواش والبساتين للكتل العمرانية المختلفة ومقارنتها ببعضها ، واستخلاص النتائج من ذلك .

٢. الخلفية الجغرافية والتاريخية

٢,١ *الناحية الجغرافية*

تقع المدينة المنورة في غرب الجزيرة العربية ، وتبعد عن ساحل البحر الأحمر مسافة ٢٧٥ كيلو متر ، وعن مدينة جدة ٤٠٠ كيلو متر ، وعن مكة المكرمة ٤٢٠ كيلو متراً . وترتبط المدينة بخطوط معبدة تصلها بمنطقة القصيم شرقًا وحائل وتبوك وبلاد الشام شمالاً ومدن البحر الأحمر غربًا ومكة المكرمة جنوبًا . وترجع أهمية موقع المدينة لوقوعها على خط التجارة المار بين مكة ومدن الشام ، الأمر الذي أدى إلى رخائها وازدياد عدد سكانها ونمو الحركة التجارية فيها .

تقع المدينة المنورة على خط طول ٣٦ ´ ٣٩° وخط عرض ٢٨ ´ ٢٤°، ويتراوح ارتفاعها عن سطح البحر ما بين ٥٩٧ متراً و ٦٤٠ متراً . وتتكون المدينة من واحة خصبة تحتضنها الجبال

والحرات من عدة جهات ، حيث يحدها من الشمال جبل أحد ، ومن الشمال الغربي جبل سلع ، ومن الجنوب الغربي جبل عير . وهي محاطة من الجهات الشرقية والجنوبية والغربية بحرات وفرت لها الحماية في الأزمنة السابقة . كما يحيط بالمدينة عدد من الوديان المشهورة كالعقيق وقناة وبطحان الذي يمر بوسطها .

ويتصف مناخ المدينة بأنه صحراوي قاري شديد الحرارة صيفًا ، وبارد شتاءً ، وقد ظهر تأثير المناخ جليًا على التشكيل العمراني للمدينة والمعالجات المعمارية للنوافذ والفتحات . كما ساعدت المزارع المحيطة بالمدينة من مختلف الجهات على تلطيف الجو والتخفيف من الجفاف .

٢,٢ *نبـــذة تاريخيـــة*

أول من سكن المدينة المنورة بعد الطوفان هم التبابعة والعماليق الذين نزلوا في موضع يسمى سوق قينقاع . وفي القرن الثاني قبل الميلاد ، عند انهيار سد مأرب ، نزحت قبائل من اليمن ، من بينهم بنو أنيف وبنو معاوية بن الحارث وبنو الجذماء ، ثم نزل على هؤلاء الأوس والخزرج وبنو قريضة وبنو النضير وبنو قينقاع وقوم آخرون . وبعد استقرار هذه القبائل نشبت مناوشات بين اليهود والأوس والخزرج انتصر فيها الأوس والخزرج .

كونت القبائل التي سكنت المدينة أحياء منفصلة عن بعضها لارتباطها بينابيع متفرقة في أنحاء المنطقة ، ولقد ساعد اختلاف الديانات على هذا الانفصال في الأحياء . فقد سكن اليهود شرق جنوب المدينة بما يعرف بمنطقة العوالي ، أما الأوس والخزرج فسكنوا في الجهة الشمالية الشرقية بما يعرف بمنطقة العريض . وقد اختيرت هذه المناطق لقربها من الحرات التي كانت توفر لهم الحماية الطبيعية من الأعداء . وقد تنافس سكان الأحياء في بناء الحصون والآطام للأغراض الدفاعية .

عندما قدم رسول الله ﷺ المدينة مهاجرًا إليها عام ٦٦٢م ، أقام مسجده وبيته بجانبه . وبنى الصحابة رضوان الله عليهم بيوتهم حوله من الناحية الجنوبية والشرقية . كما انتقل الأوس والخزرج بعد دخولهم في الإسلام إلى جانب المسجد . وتكونت المدينة كوحدة متكاملة ، ممثلة أول مدينة في الإسلام ، وظلت عاصمة للإسلام طوال عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم .

انتقلت عاصمة الخلافة الإسلامية إلى دمشق في عهد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه في ربيع الثاني من عام ٤١هـ ، وظلت طوال العهد الأموي والعباسي بين دمشق وبغداد . وبعد العباسيين جاء دور الأشراف الذين حكموا الحرمين . وبعد أن استولى السلطان سليم العثماني على مصر أرسل الشريف بركات بمفاتيح الحرمين إليه ، وبذا دخلت المدينة تحت حكم العثمانيين عام ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م ، ثم انضوت تحت الحكم السعودي عام ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦م .

٣. وصف المدينة ومراحل توسعها

زار العديد من المؤرخين والمستكشفين المدينة المنورة في فترات متلاحقة على مر العصور ووصفوها بأوصاف متباينة حسب ما كانت عليه من ازدهار أو انحسار عمراني . ومن أشهر هؤلاء ، المقدسي الذي زارها في أواخر القرن الرابع الهجري ، وذكر عنها التالي :

« المدينة أقل من نصف مكة يحيط بأكثرها بساتين ونخيل وقرى ، ولها مزارع قليلة ومياه عذبة . وللأسواق عند الجامع نور وبهاء ، بنيانهم مدن ، مالحة الأرض ، قليلة الأهل ، والمسجد في ثلثيها مما يلي بقيع الغرقد » [١ ، ٨٠ و ٨١] .

كما زار ابن جبير المدينة المنورة عام ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م ، ووصف سورها وأبوابها في الاتجاهات المختلفة . ومن أشهر من كتب عن المدينة المنورة ووثق المواقع الأثرية والسور والبوابات علي بن عبد الله السمهودي عام ٨٩٣هـ/ ١٤٨٨م[٢ ، ٢٥٤] . ويأتي في مقدمة المستشرقين جون بورخارت (John Lewis Burckhardt) ، الذي زار المدينة المنورة عام ١٢٣١هـ/ ١٨١٥م ، ووصفها بالتالي :

« تنقسم المدينة إلى قسمين رئيسين : البلدة الداخلية والضواحي . ويتشكل القسم الداخلي من شكل بيضاوي طول محيطه ٢٨٠٠ خطوة . بنيت مباني المدينة من الحجر وبيوتها من دورين ذات أسطح مستوية . وتعد في مجملها من أجمل المدن التي رأيتها في الشرق بعد مدينة حلب » [٣ ، ٣٢٣] .

وقد وصف ريتشارد بيرتون (Richard Burton) عام ١٢٦٩هـ/ ١٨٥٢م المدينة المنورة بالتالي :

« تتكون المدينة من ثلاثة أجزاء رئيسة : البلدة ، والقلعة ، والضواحي التي تعد مساحتها أصغر بقليل من البلدة . ويبدو أن المدينة المنورة أكبر من مدينة السويس بمقدار الثلث ، ونصف مساحة مكة المكرمة » [٤ ، ٣٩١] .

أتى ابن عبد السلام الدرعي المغربي المدينة المنورة عام ١١٩٨هـ/ ١٧٨٣م ، فوصفها أنها « أصغر من مكة ، مليحة ، ظاهرة الأنوار ، موضوعة في منبسط من الأرض على واد به حدائق كثيرة من نخل وشجر ، وأرضها سبخة ، والبقيع شرقها ، وأحد شمالها ، وقباء إلى الجنوب »[٥ ، ١٥٧] .

زار الرحالة موريتز (Moritz) المدينة المنورة عام ١٣٣٣هـ/ ١٩١٤م ، وذكر أنها تتكون من جزئين ، الجزء القديم يحيط به السور ، والجديد يقع في الجهة الغربية ، ويفصلها عن بعضهما

ميدان المناخة الذي يبلغ عرضه حوالي ٤٠٠م[٦، ١٠].

كما أشار رتر (Rutter) الذي زار المدينة المنورة عام ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م إلى أن المساحة المبنية بين السورين تعادل نصف مسطح المدينة داخل السور . وأشار إلى الانخفاض الواضح في عدد السكان الذي وصل إلى حوالي ٦٠٠٠ نسمة [٧، ٤٩٦] . كما زار فلبي (Philby) المدينة المنورة مرتين ، الأولى عام ١٣٥٠هـ/ ١٩٣١م ، والثانية عام ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م ، وأفاد أن بعض المباني في غرب العنبرية خرب بسبب ترك أصحابها لها بعد انسحاب العثمانيين من المدينة . وكان بالجهة الجنوبية داخل وخارج السور العديد من البساتين ، وعدد محدود من المباني المتواضعة . وقد وصل عدد السكان في تلك الفترة ١٥٠٠٠ نسمة [٨، ١٤٣] .

ولقد عمل كل من بورخارت ، وبرتون ، وموتز ، ورتر مخططات عمرانية للمدينة تبين الأسوار والبوابات والكتل والفراغات العمرانية والبساتين المحيطة بها ، الأشكال ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ . وتتشابه هذه المخططات إلى حد كبير ، حيث إن الفترة بين أقدمها وأحدثها لاتتجاوز ١١٠ أعوام ، وهذه فترة قصيرة في عمر المدن ، لايتضح فيها النمو العمراني بشكل جلي . ويظهر الفرق الوحيد الملاحظ بينها في مخطط رتر ، شكل ٤ ، حيث يبين امتداد العمران من الجهة الشمالية خارج السور الداخلي .

ويتحدد امتداد المدينة المنورة عمرانيًا في أربع مراحل مبينة في الشكل ٥ ، وتتلخص في التالي :

- المرحلة الأولى : تأسست فيها المدينة المنورة في عهد رسول الله ﷺ وحتى العهد العباسي ، حيث أحاطت المساكن بالحرم النبوي الشريف من جميع الجهات في شكل دائرة يقرب قطرها من ٣٠٠ م .
- المرحلة الثانية : امتداد العمران من جهتي الغرب والشمال الغربي ، مكونًا الكتلة العمرانية التي أحاط بها السور الداخلي ، وذلك في العهد المملوكي وحتى بداية العهد العثماني . وقد توقف الامتداد جهة الشرق لوجود بقيع الغرقد في هذه الجهة .
- المرحلة الثالثة : كان الامتداد من جهات ثلاث هي الغرب والجنوب والجنوب الغربي خلال العهد العثماني ، حيث ظهرت ثلاث كتل عمرانية مفصولة بشكل واضح عن الكتلة المركزية .
- المرحلة الرابعة : في هذه المرحلة اتجه الامتداد نحو الشمال حيث تكونت حارة باب المجيدي ، وكان ذلك في أواخر العهد العثماني .

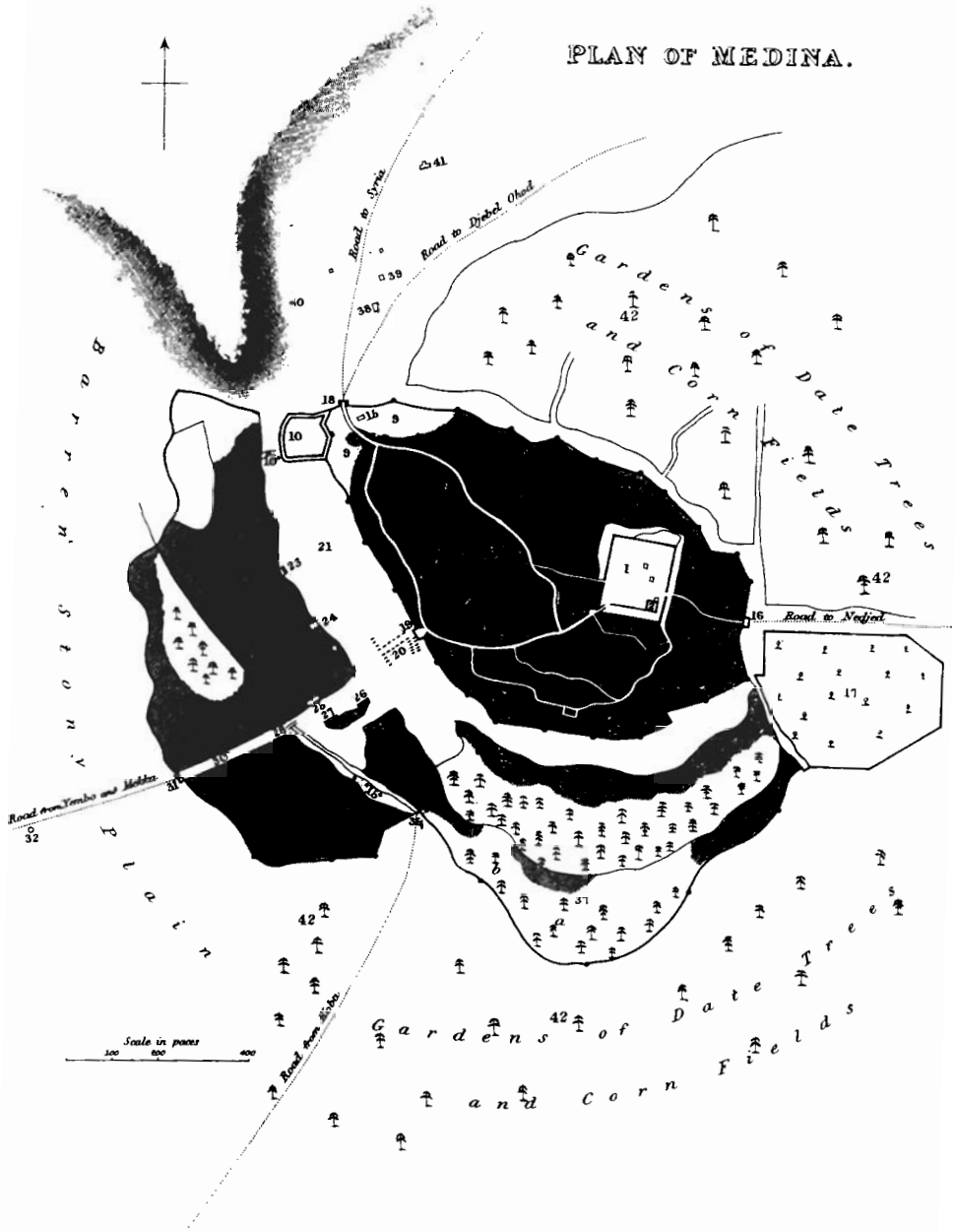

شكل ١. مخطط بورخارت (Burckhardt) عام ١٢٣١هـ/ ١٨١٥م.
المصدر: مرجع رقم [٣].

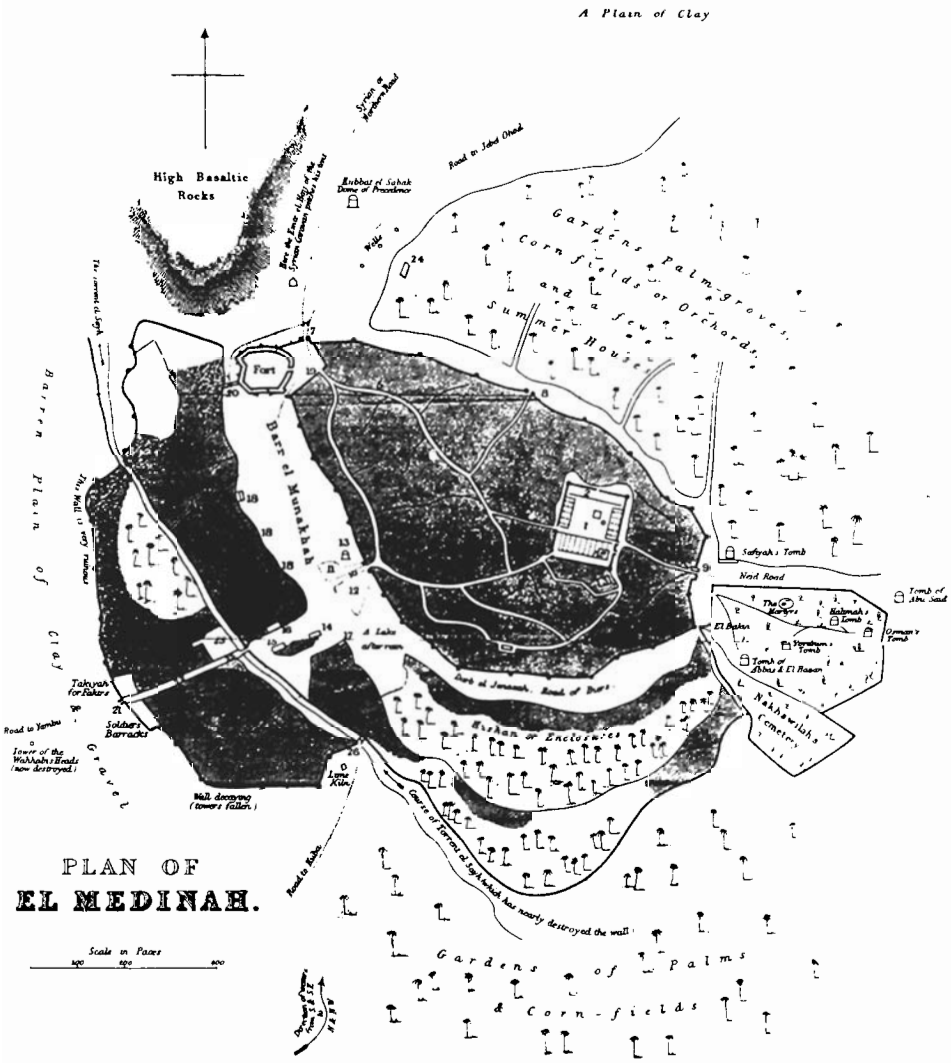

شكل ٢. مخطط برتون (Burton) عام ١٢٦٩هـ/ ١٨٥٢م.

المصدر: مرجع رقم [٤].

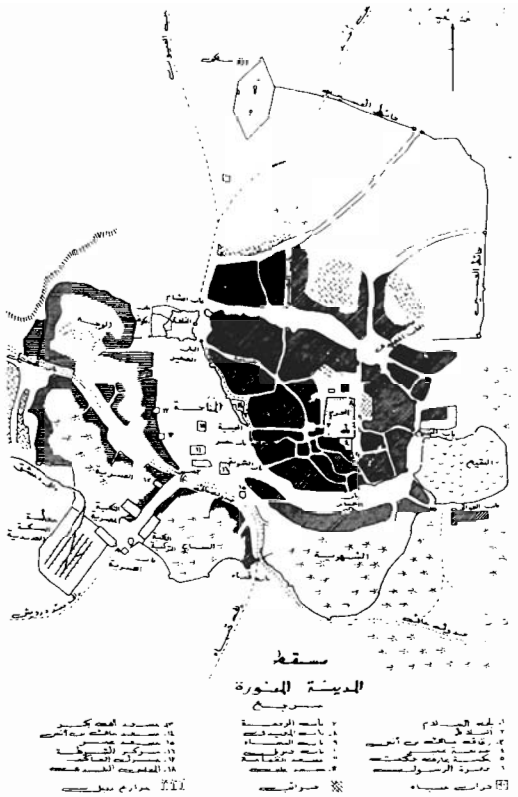

شكل ٣. مخطط مورتز (Moritz) عام ١٣٣٣هـ/ ١٩١٤م.
المصدر : مرجع رقم [٦].

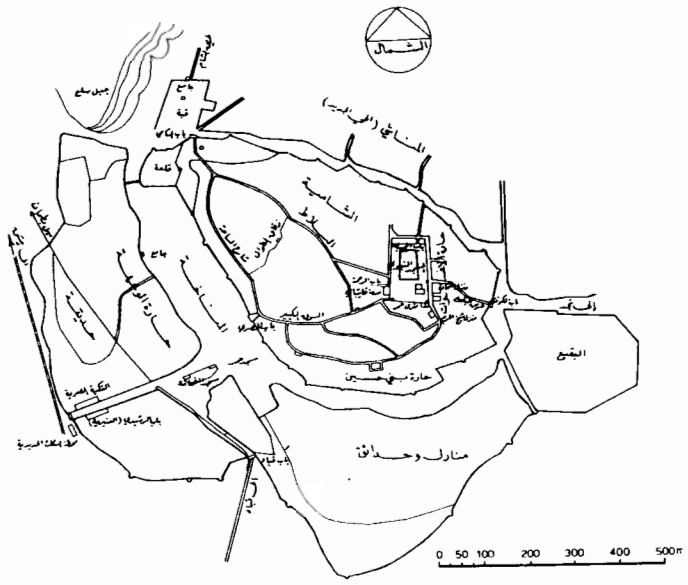

(١٠) المدينة المنورة مخطط المدينة ١٩١٤ م (المؤلف عن MORITZ)

شكل ٤. مخطط رتر (Rutter) عام ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م.
المصدر : مرجع رقم [٧].

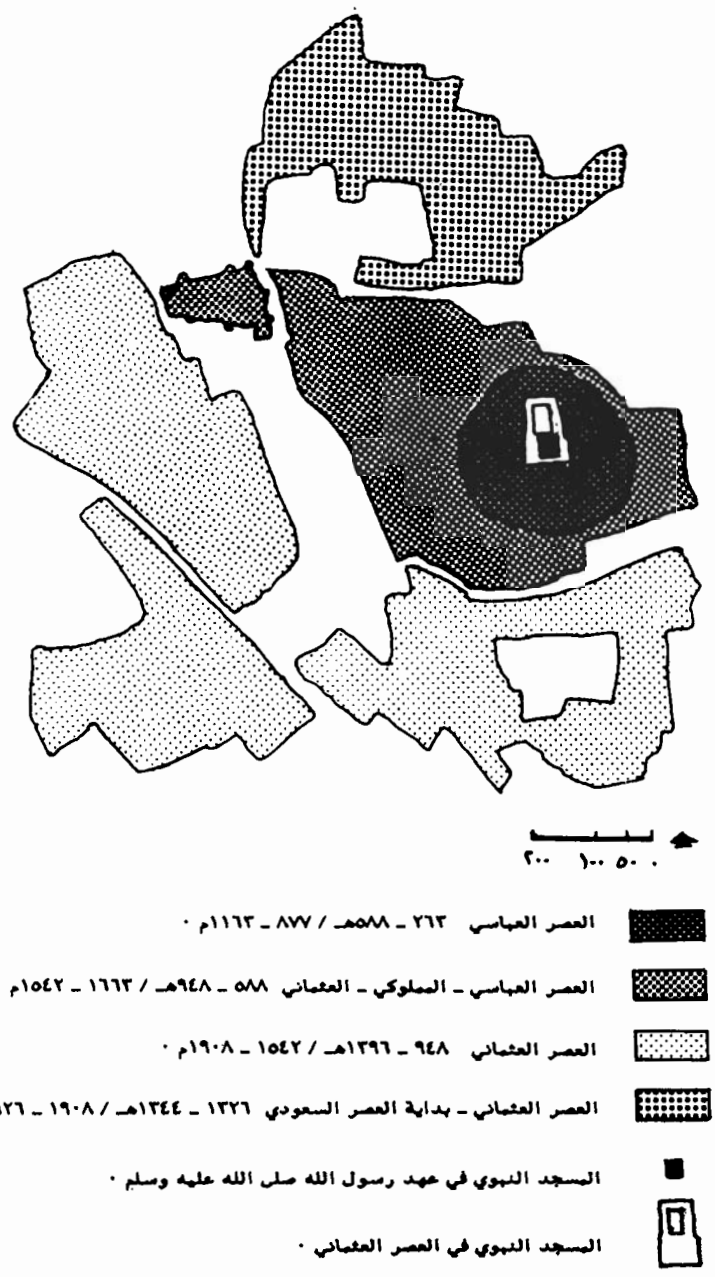

شكل ٥. مراحـــل نمـــو المدينـــة المنـــورة .

المصدر : مرجع رقم[١٥] ، مع إجراء بعض التعديلات على المخطط بالاستعانة بمخطط المساحة المصرية .

٤. الأســـــوار والبـــوابـات

تعد الأسوار والبوابات من العناصر العمرانية المهمة التي كانت تحدد إطار المدن ، ونموها ، ونمطها العمراني ، كما كانت لها الهيمنة التامة عليها . ولم يكن للمدينة المنورة سور قبل البعثة النبوية ، وفي عهد رسول الله ﷺ ولحمايتها آنذاك من جيش الأحزاب ، حفر الخندق في الجهة الشمالية الغربية ليصل بين الحرتين الشرقية والغربية . وظلت المدينة المنورة بدون أسوار ، حتى بنى أميرها إسحاق بن محمد الجعدي أول سور من اللبن عام ٢٦٣هـ/ ٨٧٦م ، ثم تهدم على مر الزمن . وبعد ما يقارب المائة عام ، بنى عضد الدولة بن بويه في خلافة الطائع لله بن المطيع لله سوراً على المدينة . تهدم هذا السور ، ثم قام جمال الدين محمد بن أبي المنصور ببناء سور محكم حول المدينة عام ٥٤٠هـ/ ١١٤٦م . ولما كثر البنيان خارج السور طلب الأهالي من السلطان العادل نور الدين زنكي بناء سور يشمل المناطق الجديدة ، فأمر بإقامته عام ٥٥٧هـ/ ١١٦٣م . وجدد هذا السور في زمن الملك الصالح صالح بن ناصر بن قلاوون عام ٧٧٥هـ/ ١٣٧٣م ، ثم جدد جزءاً منه السلطان قايتباي[٩، ١٤٥] .

بنى السلطان سليمان خان العثماني قلعة المدينة وسورها المشهور الذي بلغ طوله حوالي ٣٠٧٢ ذراع (٢٣٠٠ م) ، شكل ٦ . وكانت بداية بناء السور عام ٩٣٧هـ/ ١٥٣٠م ، وانتهى عام ٩٤٧هـ/ ١٥٤٠م . وعَمَّر محمد علي باشا هذا السور عام ١٢٣١هـ/ ١٨١٥م وفتح فيه باب المصري ، ثم جدده السلطان عبد العزيز عام ١٢٨٥هـ/ ١٨٦٨م ، وجعل ارتفاعه نحو ٢٥م ، وبني فيه ٤٠ برجًا [١٠، ٢٦٣] . وكان للسور أربعة أبواب رئيسة هي :

- باب الجمعة : ويسمى باب البقيع من الجهة الشرقية ، وينفذ إلى بقيع الغرقد ، شكل ٧ .
- باب الشامي : ويسمى بالدرب الكبير ، وينفذ إلى قبر سيد الشهداء حمزة رضي الله عنه .
- باب المصري : ويسمى باب سويقة ، وينفذ إلى المناخة وإلى مصلى العيد ، شكل ٨ .
- باب الصغير : يقع بجوار القلعة ، وينفذ إلى المناخة .

أضيف إلى السور في عهد السلطان عبد المجيد ثلاثة أبواب هي بابي المجيدي والبصري في الجهة الشمالية وباب الحمّام في الجهة الجنوبية .

ذكر ابن عبد السلام الدرعي أن للمدينة سور وثلاثة أبواب هي باب البقيع وباب المصري وباب الشامي ، وكل منها في غاية الزخرفة ومتانة البناء ، ما عدا باب البقيع[٥، ١٥٧] . وفي عام ١٣٠٥هـ/ ١٨٨٧م أنشأ وجدد السلطان عبد الحميد خان الباب الحميدي المسمى بباب العنبرية (شكل ٩) ، والبرجين والسور الملاصق لهما [٩، ٤٦٩] . وقد بُني السور الخارجي في عهد محمد علي عام ١٢٣٤هـ/ ١٨١٨م ليحيط بالبيوت التي امتدت خارج السور الداخلي . ويبدأ

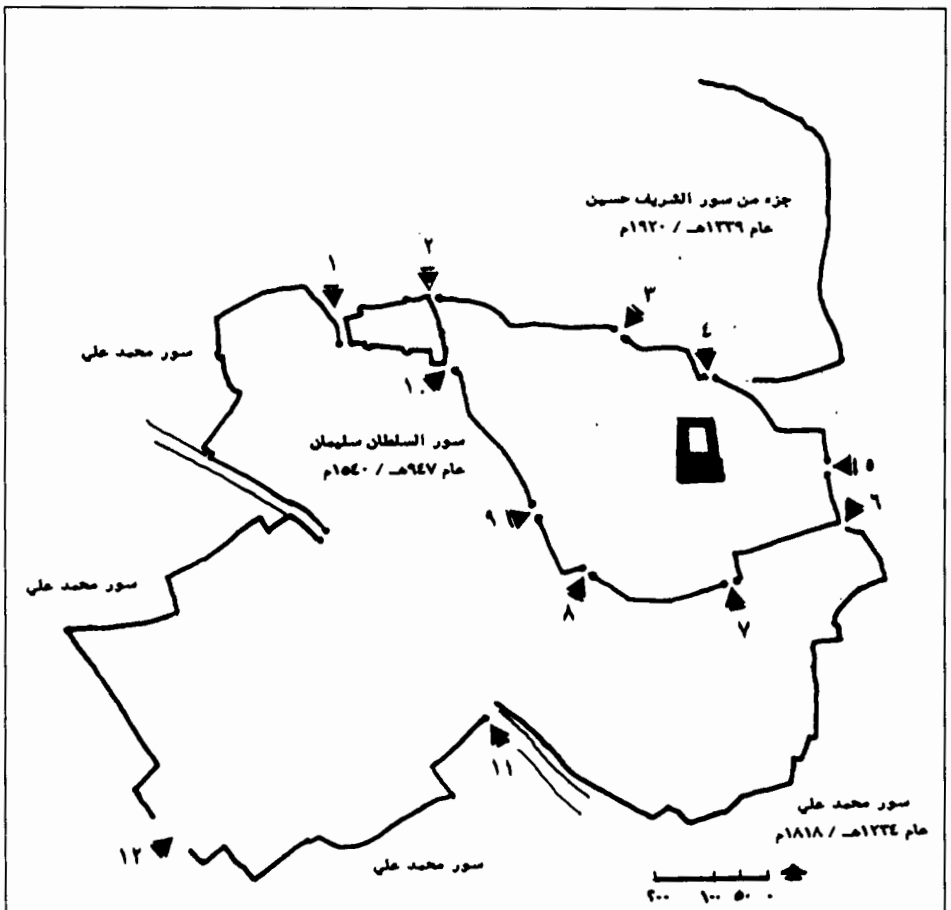

١- باب الكومة
٢- باب الشامي
٣- باب بصري
٤- باب المجيدي
٥- باب الجمعة
٦- باب العوالي
٧- باب الحمام
٨- باب القاسمية
٩- باب المصري
١٠- باب الصغير
١١- باب قباء
١٢- باب العنبرية

شكل ٦. الأسـوار والبوابـات.
المصدر: مرجع رقم [١٨].

شكل ٧ . بقيـع الغرقـد وباب الجمعـة .
المصدر : مرجع رقم[١٦] .

هذا السور من البقيع ويتجه جنوبًا تجاه قباء ، مارًا بالقشلة الواقعة في العنبرية غربًا ، وينتهي بالقلعة في الجهة الشمالية . وذكر البتنوني عام ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م أن السور الخارجي ليس له أهمية تذكر ومهدم في كثير من جهاته[١٠، ٢٦٣] . وقد جعل لهذا السور خمسة أبواب :

- باب البقيع في الزكن الجنوبي الشرقي .
- باب العوالي في الجهة الجنوبية .
- باب قباء في الجهة الجنوبية .
- باب العنبرية في الجهة الغربية .
- باب الكومة في الجهة الشمالية الغربية .

كما بنى الشريف حسين عام ١٣٣٩هـ/ ١٩٢٠م سورًا يشمل العمران الذي امتد شمالاً مثل حارتي باب المجيدي وباب التمار . ويبدأ هذا السور من البقيع متجهًا شمالاً متقطعًا مساحات كبيرة من المزارع والبيوت إلى يصل إلى منطقة توازي مسجد أبي ذر الغفاري ، ثم يتجه غربًا ، ثم ينكسر متجهًا جنوبًا حتى يلتقي بالسور القديم عند باب الشامي . ولهذا السور عدة أبواب من أشهرها باب الأبارية وباب الصدقة (باب التمار) . ولم يحدد مسار هذا السور على الخارطة التي أعدتها المساحة المصرية لتهدم معظم أجزائه ، ولم يُبيَّن عليها سوى الجزء الذي يصل بين باب الأبارية وباب التمار ، شكل ٦ .

شكل ٨ . باب المصـــري .
المصدر : مرجع رقم [١٦] .

٥ . العنـــاصر العمـــرانيـــة البـــارزة

هناك العديد من العناصر العمرانية البارزة التي تؤثر على أو تتأثر بالنمط العمراني التقليدي للمدينة المنورة ، وتتلخص في التالي :

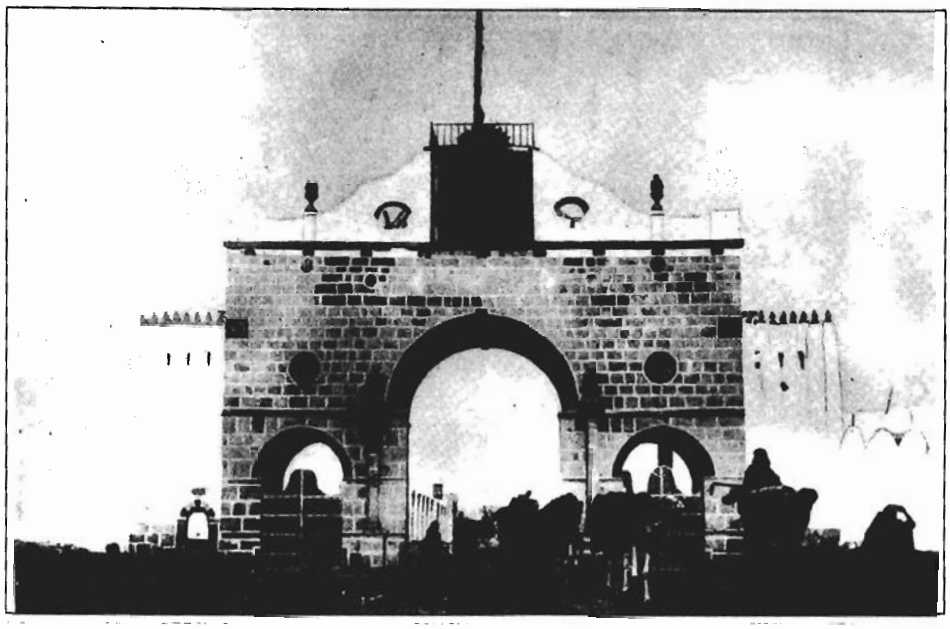

شكل ٩ . باب العنبريـــة .
المصدر : مرجع رقم [١٠] .

٥,١ الحـــرم النبـــوي الشـــريف

يمثل عنصراً رئيسًا ترتبط به معظم أجزاء المدينة . وتبرز كتلة الحرم البنائية ضمن النسيج العمراني للمدينة المنورة لكبر مساحته ، ولإحاطة الشوارع بجهاته الشمالية ، والشرقية ، وجزء من الجهة الغربية التي يلاصقها مبنى المكتبة المحمودية . يتكون الحرم من كتلة مستطيلة الشكل تبلغ مساحته ١٠٣٠٠م٢ ، يتوسطه فناء فسيح تبلغ مساحته ١٩٢٥م٢ . وللحرم خمسة أبواب هي بابي السلام والرحمة غربًا ، وباب المجيدي شمالاً ، وبابي جبريل والنساء شرقًا . ترتبط هذه الأبواب بشوارع رئيسة تؤدي إلى الأحياء المختلفة ، وإلى البوابات التي تفضي إلى خارج المدينة . وقد ارتبط اتجاه الطرقات الرئيسة بمواقع أبواب الحرم مما ساهم في تشكيل البنية العمرانية ، وتحديد مسارات وحركة المشاة ، ومواقع الأسواق ، والاستخدامات الأخرى للأراضي . كما أثر وجود الحرم في المنطقة المركزية على النسيج العمراني في هذه المنطقة ، والذي اتصف بتراص المباني ، وضيق الطرقات ، وخلوها من الساحات ، شكل ١٠ .

٥,٢ الأســـوار والبـــوابات

تحدد أسوار المدينة المنورة مساحة وشكل الرقعة المبنية حيث تتشكل حوافها حسب تعرجات وانعطافات الأسوار ، وفي بعض الأماكن يتبع السور حواف الرقعة المبنية . ومن المؤثرات

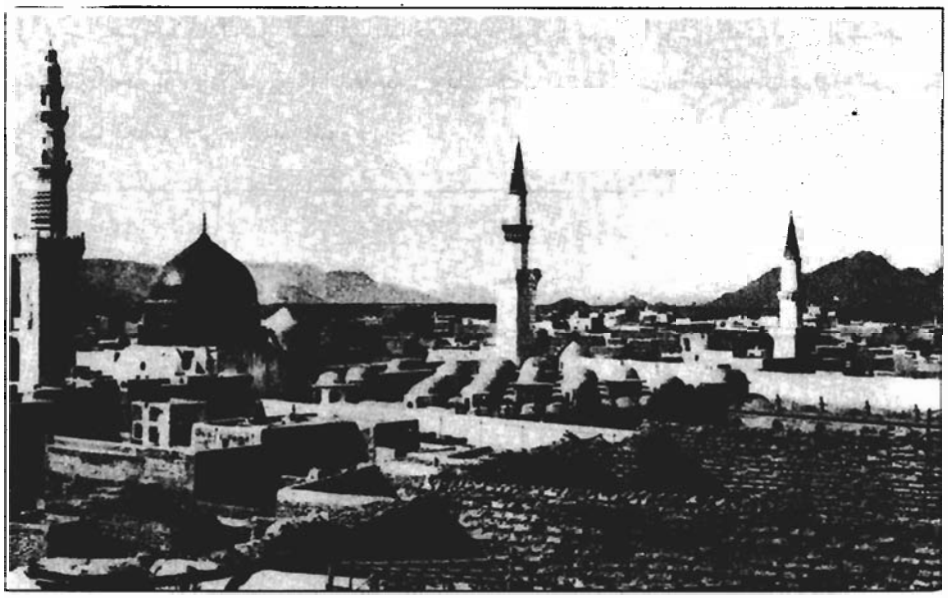

شكل ١٠. الحرم النبوي الشريف واندماجه مع الكتل البنائية للمدينه المنورة .
المصدر : مرجع رقم [١٦] .

البارزة للأسوار زيادة المساحة المبنية على حساب الفراغات المفتوحة ، كما هو واضح في المنطقة القديمة من المدينة . وللمظهر الخارجي للأسوار هيبة لما تتصف به من متانة البناء وضخامة الأبراج ، وتضفي على المدينة طابعًا مميزًا .

أما البوابات (المنافذ الرئيسة للمدينة) فهي الأجزاء البارزة التي تشاهد من قبل الداخل إلى المدينة ، وغالبًا تدعم بأبراج دائرية الشكل . وتعد البوابات العلامات المميزة للمدن التاريخية . ولكل بوابة صفاتها الخاصة التي تميزها عن غيرها من البوابات في نفس المدينة . وتلاحظ هذه الفروق بين بوابتي المصري والعنبرية في الشكلين ٨ ، ٩ ، حيث يبدو باب المصري أكثر مناعة من باب العنبرية .

٣,٥ *المناخ*

يساهم ميدان المناخ بشكل فعّال في تشكيل البنية العمرانية للمدينة المنورة ، حيث يبرز بوضوح في مخطط المدينة على شكل فراغ واسع يفصل بين القسم القديم والأجزاء الأخرى التي امتدت خارجه . ومع وجود المناخ كفاصل ، لم تتأثر استمرارية ومرونة الحركة خلال الشوارع التي تربط الجزء القديم بالامتداد العمراني جهة الغرب ، شكل ١١ ، وتتداخل

الفراغات المفتوحة مع الكتل المبنية في المناخة مكونة تركيبًا عمرانيًا يؤدي العديد من النشاطات الدينية ، والتجارية ، والإدارية ، والدفاعية . وقد مكنت استطالة المناخة باتجاه الشمال والجنوب من اتصالها بمعظم أجزاء المدينة المنورة .

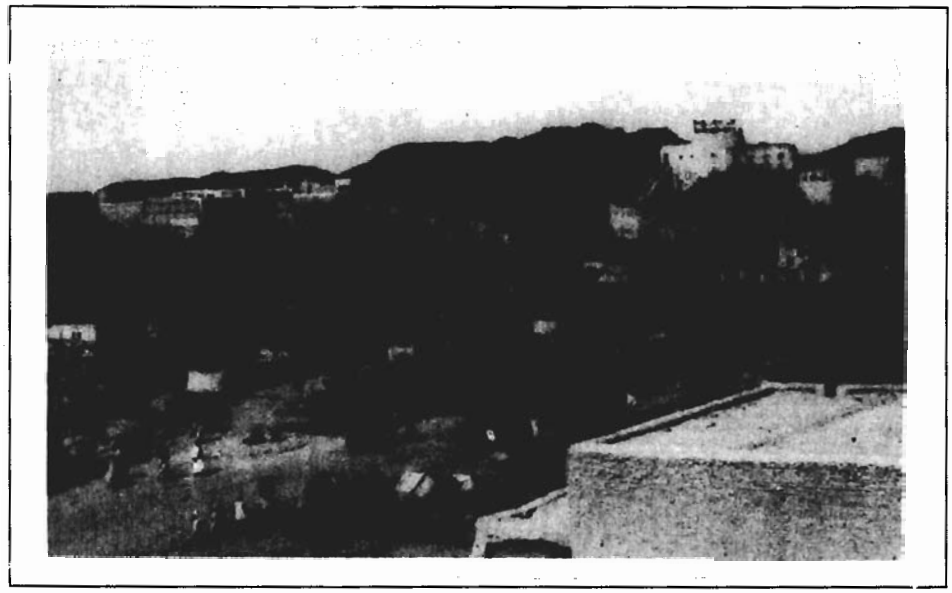

شكل ١١ . ميـــدان المناخـــة .
المصدر : مرجع رقم [١٧] .

٤ , ٥ وادي بطحـــــان

يطلق عليه وادي أبو جيدة ، ويعد فاصلاً طبيعيًا بين منطقة باب العنبرية وبقية أجزاء المدينة . وينحصر الاتصال بين منطقة العنبرية والمناخة عبر جسر أقيم على الوادي ، وتمتد على جانبي الوادي ممرات تفتح عليها البيوت المطلة على الوادي وتصلها بالشارع الرئيس . وقد بني على الوادي من الجهتين الشمالية والجنوبية قنطرتين تسميان « البرابيخ » اقفلت فتحاتها بقضبان من الحديد للسماح بمرور السيل ومنع الدخول عبر الوادي .

٥ ; ٥ بقيـــــع الغرقـــــد

هو مقبرة المدينة المنورة منذ عهد النبوة ، ويقع في الجهة الشرقية من المدينة بالقرب من الحرم النبـوي الشريف ، حيث تنقل الجنائز إليه من خـلال باب الجمعـة مروراً بحـارة الأغـوات ، شكل ٧ . وقد كان للبقيع أثر واضح على الحد من امتداد المدينة من جهة الشرق .

٦. استخـــدامـــات الأراضـــــي

٦,١ الأســـــواق

تتميز المدينة المنورة بسوق تجاري مثالي في تركيبه العمراني ، حيث يمتد من بابي السلام والرحمة بالمسجد النبوي الشريف إلى ميدان المناخة على امتداد شارعين رئيسين متوازيين ، أحدهما سويقة الطريق التجاري القديم ، والآخر شارع العينية ، الذي استحدثه فخري باشا أثناء الحرب العالمية الأولى . كما يتركز السوق الرئيس في ميدان المناخة ، حيث يأخذ شكل القيصريات ، شكل ١٢ . وكانت هذه الأسواق ترتبط ببعضها وتتدرج في مواقعها حسب نوع البضائع التي تباع فيها ، وحسب أهميتها للسكان ، حيث كانت تقع متاجر الكتب والعطور والحلي والأقمشة قريبًا من الحرم النبوي الشريف ، وتقع أسواق الحبوب والطباخين واللحوم في أقصى السوق بعيدًا عن الحرم وعن الطرق الرئيسة للمارة . كما أبعدت الصناعات عن المناطق السكنية في منطقة المصانع شمال المدينة .

ويمكن تصنيف الأسواق في المدينة المنورة إلى أربع مجموعات كما يلي :

١- سوق ما حول الحرم النبوي الشريف ، وتباع فيه العطور والكتب .

٢- سويقة ، وتسمى سوق القماشة وهي سوق تجاري رئيس تباع فيه الحلي والأقمشة والملابس والعطارة .

٣- سوق المناخة التاريخي الذي خصصه رسول الله ﷺ سوقًا وسوحًا عامًا لأهل المدينة ، ويضم النشاط التجاري الأكبر في المدينة المنورة [١١] . تباع في هذا السوق الحبوب والتمور واللحوم والفواكه والخضروات والأواني المنزلية . كما يستوعب هذا السوق بعض الحرف اليدوية مثل صناعة الأقفاص والمصابيح والأباريق وعلب الصفيح .

٤- سوقين محليين ، يقع أحدهما في شارع باب المجيدي ، والآخر في بداية شارع الساحة من جهة الحرم . تباع في هذين السوقين الاحتياجات اليومية لسكان الحي من اللحوم والخضروات والفواكه .

٦,٢ المســـاجـــــد

يعد المسجد النبوي الشريف المسجد الرئيس في المدينة المنورة ، حيث يصلي فيه معظم السكان ، ولايوجد داخل السور القديم أي مسجد سواه . أما في المناخة خارج السور القديم فتقع أربعة مساجد مأثورة كانت مواضع لصلاة العيدين في عهد رسول الله ﷺ والخلفاء الراشدين وهي :

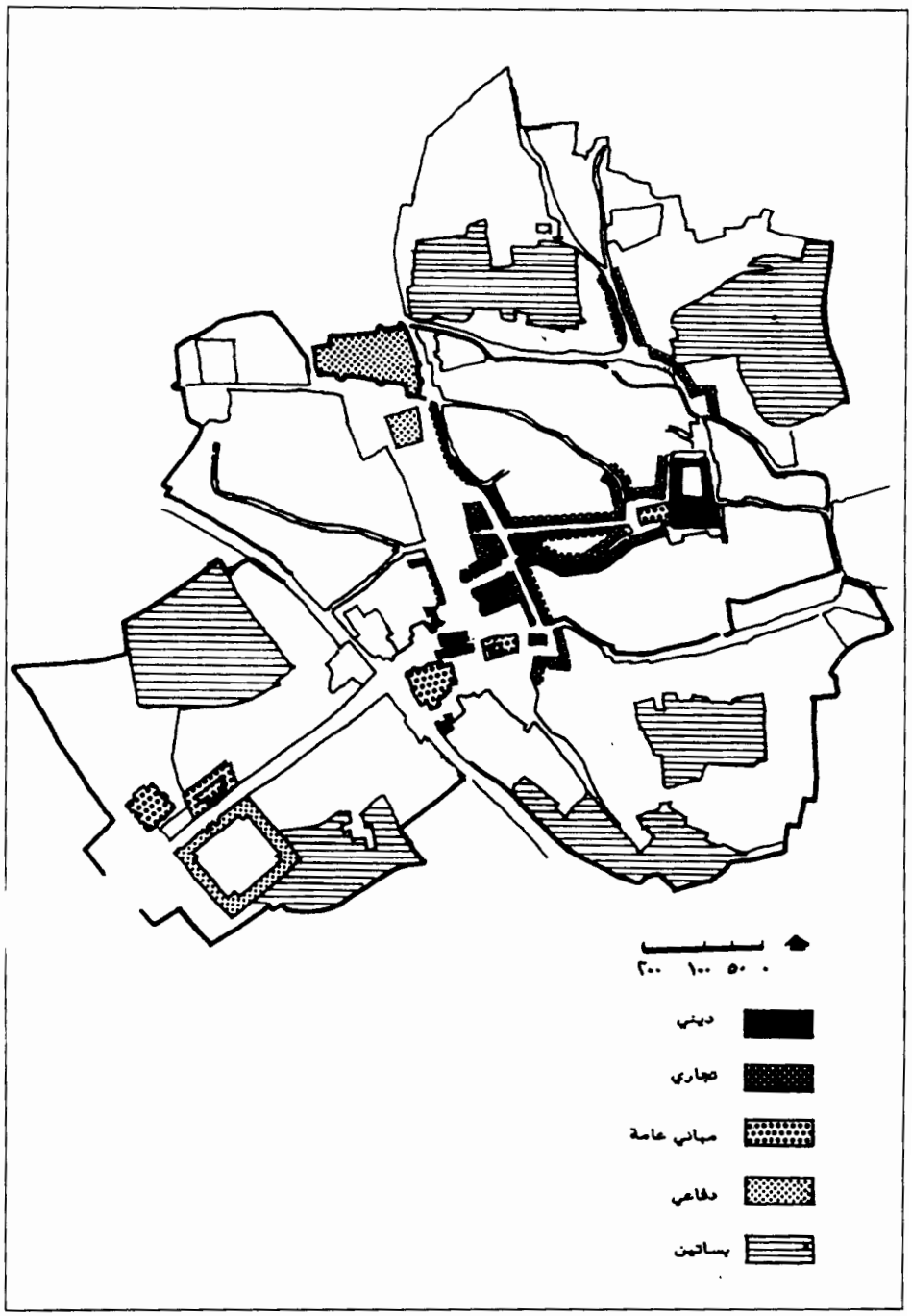

شكل ١٢. استخدامات الأراضي.
المصدر: مرجع رقم [١٨].

١- مسجد الغمامة .

٢- مسجد أبي بكر الصديق .

٣- مسجد عمر بن الخطاب .

٤- مسجد علي بن أبي طالب .

٦,٣ المكتبـــــــات

هناك عدد من المكتبات التي تحيط بالحرم النبوي الشريف من أشهرها :

١- مكتبة السلطان محمود ، التي تعرف بالمكتبة المحمودية ، أسست عام ١٢٧٢هـ/ ١٨٥٥م ، وتقع ملاصقة للحرم من الجهة الغربية بين بابي السلام والرحمة .

٢- مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمة ، وتقع أمام الركن الجنوبي الشرقي للحرم ، وقد أسست عام ١٢٧٠هـ/ ١٨٥٣م .

٣- مكتبة السلطان عبد الحميد الأول ، وتقع في شارع الساحة .

٤- مكتبة بشير أغا ، وتقع في زقاق الخياطين .

٥- مكتبة رباط عثمان ، وتقع في حارة الأغوات .

وبجانب ذلك ، هناك العديد من المكتبات التي كانت ملحقة بالمدارس والأربطة ، ومنها مكتبة دار الشفاء ومكتبة مدرسة الساقزلي ، ومكتبة المدرسة الرحمانية ، ومكتبة المدرسة العرفانية ، ومكتبة مدرسة قرة باش ، ومكتبة رباط الجبرت ، وقد جمعت معظم هذه المكتبات في المكتبة العامة التي أسست في العهد السعودي عام ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م [١٢، ٢٥٨ و ٢٥٩] .

٦,٤ المواقـــــع الأثـريـــــة

تضم المدينة المنورة الكثير من المواقع الأثرية ، منها ما هو داخل الأسوار بالقرب من الحرم النبوي الشريف ، ومنها ما هو خارجها في الضواحي ، مثل : ثنية الوداع ، وقبر سيد الشهداء ، ومسجد القبلتين ، والمساجد السبعة ، ومسجد قباء ، وغيرها من المواقع التي شهدت جهاد رسول الله ﷺ وصحابته الكرام .

وستقتصر هذه الدراسة على تحديد المواقع الأثرية التي تقع ضمن النطاق العمراني ، ويسهل تحديدها على الخارطة كما هو مبين في الشكل ١٣ ، وهي كالتالي :

١- بقيع الغرقد ، سمي بذلك لكثرة نمو شجر الغرقد فيه . يقع البقيع خارج السور مباشرة من جهة الشرق ، وكان يبلغ طوله ١٥٠م وعرضه ١٠٠م ، ويحيط به سور من جميع الجهات ،

وله بوابة واحدة من جهة الغرب مقابل باب الجمعة . والبقيع مقبرة أهل المدينة المنورة منذ عهد رسول الله ﷺ ، وأول من دفن فيه من المهاجرين عثمان بن مضعون رضي الله عنه ، ويضم قبور آل البيت وعدداً كبيراً من الصحابة رضوان الله عليهم .

٢- مشهد مالك بن سنان رضي الله عنه ، ويقع ملاصقاً للسور القديم من الداخل في الجهة الغربية عند تقاطع طريق الحماطة وسوق القفاصة والطريق الموصل إلى الساحة عبر سقيفة الأميرة .

٣- سقيفة بني ساعدة ، المكان الذي بويع فيه أبو بكر الصديق رضي الله عنه بالخلافة بعد وفاة رسول الله ﷺ . تقع السقيفة خارج باب الشامي بين مركز الشرطة وبستان السلطانية . وتعرف السقيفة بأنها مكان مظلل يتكون من ثلاثة جدران يترك جهته الشمالية مفتوحة لتلقي الهواء .

٦,٥ *المباني الإدارية*

تنحصر معظم مباني المدينة المنورة الإدارية في ميدان المناخة ، وتتكون من ثلاثة مبانٍ رئيسة هي :

١- مبنى الشرطة ، ويسمى « الخالدية » ، ويقع في الجزء الجنوبي من المناخة شرق مسجد الغمامة ، وتبلغ مساحته ١٨٠٠م٢ .

٢- دار الحكومة ، وتتكون من مبنى كبير تبلغ مساحته حوالي ٤٥٠٠م٢ ، ويضم مكاتب ودواوين الإمارة والإدارات الرسمية . يقع المبنى في المنطقة الفاصلة بين المناخة والعنبرية ، حيث تطل واجهته الغربية على وادي أبو جيدة ، والواجهة الشرقية على المناخة .

٣- مبنى البلدية ، وكان يطلق عليه قبل عام ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م عشة المحتسب[١٢، ٤٥] ، ويقع المبنى في الطرف الشمالي الغربي من شارع باب المصري ، حيث يتوسط ميدان المناخة ويشرف على الأسواق المحيطة به .

٦,٦ *المباني الدفاعية*

تضم المدينة المنورة بعض القلاع والمباني الدفاعية ، من أهمها :

١- قلعة باب الشامي التي بناها السلطان سليمان بن سليم العثماني مع السور الداخلي عام ٩٣٧هـ/ ١٥٣٠م . وهي أكبر التحصينات في المدينة المنورة ، وتضم السجن ومخازن الذخيرة ، وتشرف على المناخة والمنطقة الشمالية خارج السور ، شكل ١٤ .

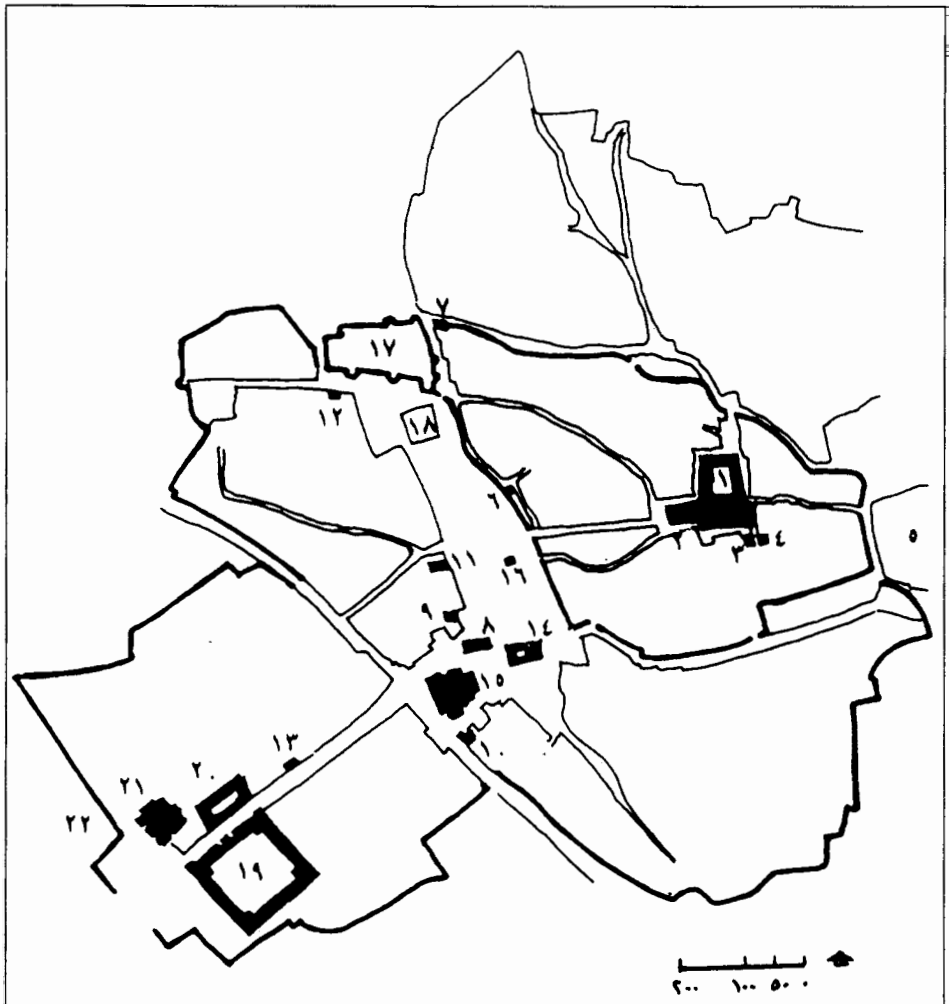

١- المسجد النبوي الشريف .
٢- المكتبة المحمودية .
٣- مكتبة عارف حكمة .
٤- منزل أبي أيوب الأنصاري .
٥- بقيع الغرقد .
٦- مشهد مالك بن سنان .
٧- سقيفة بني ساعدة .
٨- مسجد الغمامة .
٩ - مسجد أبي بكر الصديق .
١٠- مسجد عمر بن الخطاب .
١١- مسجد علي بن أبي طالب .
١٢- مسجد باب الكومة .
١٣- مسجد العنبرية .
١٤- مبنى الشرطة (الخالدية) .
١٥- دار الحكومة .
١٦- مبنى البلدية .
١٧- القلعة .
١٨- مركز الدفاع (السبيل) .
١٩- ثكنة الجيش (القشلة) .
٢٠- التكية المصرية .
٢١- الكلية الإسلامية .
٢٢- محطة القطار .

شكل ١٣ . المواقع الأثرية والمباني المهمة .
المصدر : مرجع رقم [١٨] .

٢- مركز الدفاع ويسمى « السبيل » ، وهو مركز قيادة الجيش ، ويقع في وسط المناخة في الجهة الشمالية مقابل القلعة والباب الصغير .

٣- ثكنة الجيش ويطلق عليها القشلة ، وتقع في نهاية شارع العنبرية من جهة محطة القطار مقابل التكية المصرية (الشكلين ١٥ ، ١٦). وهي ذات شكل مربع ، وتبلغ مساحتها حوالي ١٩٠٠٠م٢ تقريبًا . ويتكون مسقطها من فناء فسيح تحيط به الغرف من جميع الجهات .

٦,٧ مبـــان أخـــرى

هناك مبنيين كبيرين يقعان في الجهة المقابلة من القشلة في شارع العنبرية ، وهما :

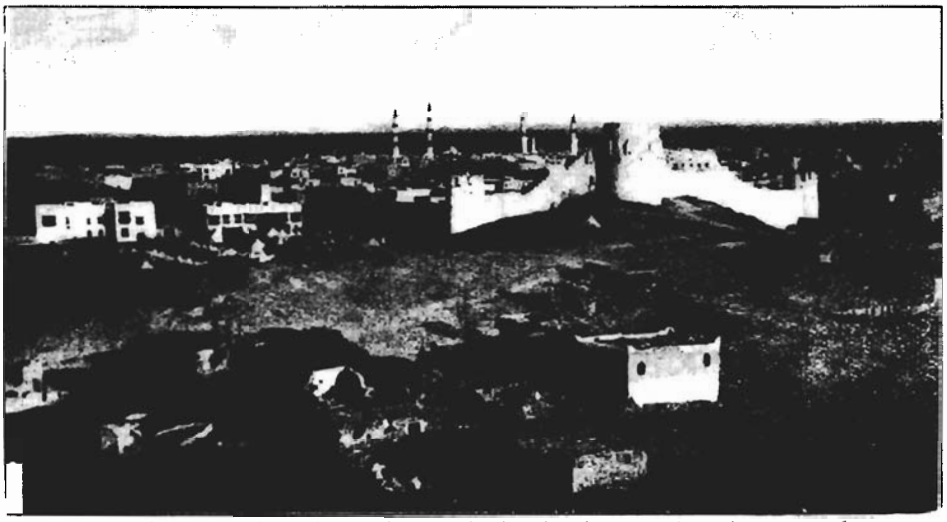

شكل ١٤. المدينة المنورة من الجهة الشمالية الغربية وتظهر في المقدمة القلعة وباب الشامي .
المصدر : مرجع رقم [١٦] .

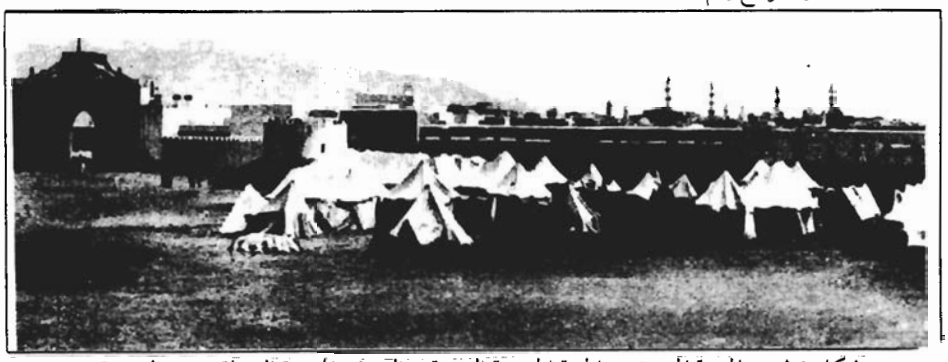

شكل ١٥. المدينة المنورة من الجهة الجنوبية الغربية وتظهر في المقدمة القشلة وباب العنبرية .
المصدر : مرجع رقم [١٦] .

شكل ١٦. شارع وبوابة العنبرية ومبنى القشلة في الجهة اليسرى .
المصدر : مرجع رقم [١٦] .

١- مبرة محمد علي ، وتعرف بالتكية المصرية ، حيث خصصها محمد علي لمساعدة الفقراء ، ومقرًا لبعثة الحج المصرية . وتتكون من بناء ضخم تبلغ مساحته حوالي ٤٥٠٠م٢، فيه العديد من الغرف المسقوفة بالقبب وبها فناء تكسوه الأشجار والنباتات (شكل ١٧) .

٢- الكلية الإسلامية ، وقد بني منها الدور الأرضي ولم يكتمل بناؤها بسبب خروج الدولة العثمانية من الحجاز . وفي العهد السعودي أكمل بناء الدور الأول وخصصت مقرًا لمدرسة طيبة الثانوية .

٣- محطة القطار ، وتتكون من مبنى مستطيل الشكل ، جميل المظهر ، وتغطي واجهته الحجرية الأروقة والأقواس والفتحات الدائرية . يقع المبنى على ميدان المحطة ويخفي خلفه فناءً فسيحًا يضم مواقف القاطرات وورش الصيانة (شكل ١٨) .

تتميز المدينة المنورة بالتلاحم بين الرقعة الخضراء والمناطق السكنية في العديد من أنحائها . وبذلك تتمتع المساكن التي تقع على أطراف البساتين بالهواء العليل والمناظر الخلابة . كما توفر البساتين عنصرًا ترفيهيًا يتنزه فيها الأهالي أثناء العطل والأعياد .

إن رقعة المدينة الصغيرة المحصورة داخل الأسوار أملت على السكان استخدامًا أمثل للأرض ، فلكل جزء استخدام يخصه ، مما ساعد على توفير المساحات المبنية والمفتوحة

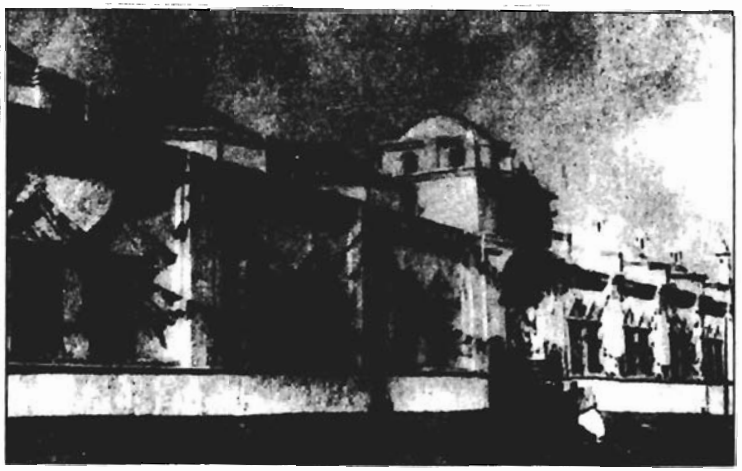

المصدر : مرجع رقم[١٠] .

المصدر : مرجع رقم[١٦]

المصدر : مرجع رقم[١٦] .

شكل ١٧ . التكيـــــة المصـــرية .

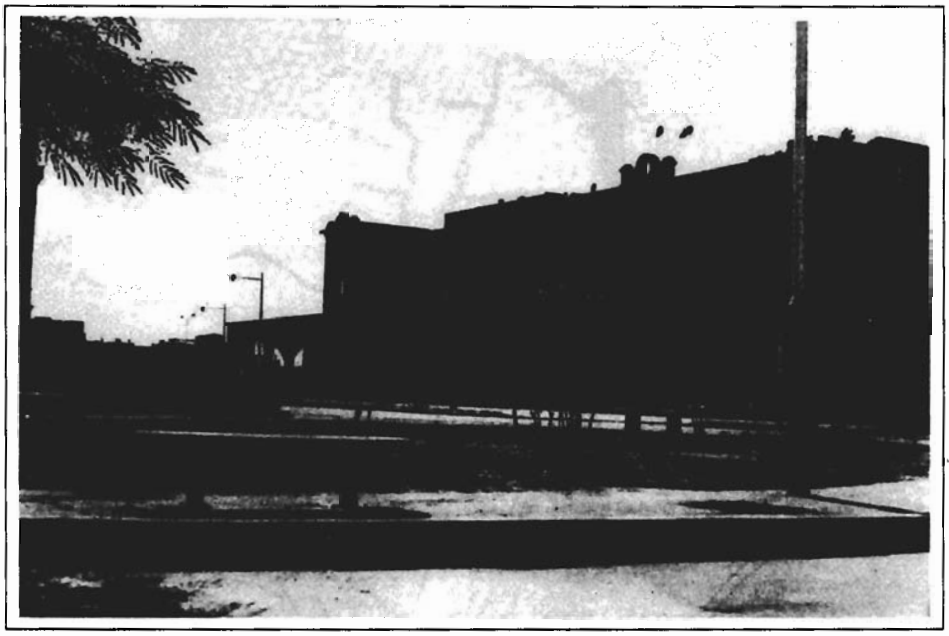

شكل ١٨. محطـــة القطـــار .
المصدر : المؤلف ، عام ١٣٨٧هـ .

وصيانتها بقدر معقول من الجهد . كما أن تقارب المسافات وصغر المساحة مكّن الأهالي من الاستفادة من مختلف النشاطات الدينية والتجارية والثقافية والترفيهية .

٧. الحـــركة ونمـــط الشـــوارع والأزقـــة

بنيت المدينة المنورة على نمط عمراني يتفق مع المدن العربية الإسلامية ، من حيث سعة الشوارع والطرقات التي تضيق وتتسع حسب الحاجة ، موفرة مرور المشاة والعربات والدواب التي كانت تستخدم كأساليب تقليدية في النقل . ومن مخطط المدينة (شكل ١٩) يتضح وجود أحد عشر شارعًا رئيسًا تتفرع منها طرقات وأزقة تفضي إلى الأحواش والمساكن . هذه الشوارع هي :

١- شارع العينية ، الذي يبدأ من الجهة الغربية للحرم وينتهي في المناخة .

٢- سويقة السوق الرئيس ، وتبدأ من باب السلام ، وتنتهي في باب المصري ، ثم المناخة .

٣- شارع الساحة ، ويبدأ من برحة باب الرحمة ، وينتهي بمنطقة باب الشامي .

٤- شارع باب المجيدي ، ويبدأ من باب الحرم متجهًا شمالاً ، ثم يتفرع إلى فرعين ، الأيمن درب الجنان والأيسر شارع الحميدية . كما يتفرع منه شارع الرومية متجهًا نحو الجنوب

شكل ١٩. نمـــط الشـــوارع والطرقـــات .
المصدر : مرجع رقم [١٨] .

الشرقي .

٥- شارع السحيمي ، ويبدأ من انعطاف شارع باب المجيدي جهة الشمال ، وينتهي أمام باب الشامي ، وهو يوازي السور القديم من الخارج من الجهة الشمالية .

٦- درب الجنايز ، يحف المنطقة القديمة من الجنوب موازيًا للسور ، ويبدأ من البقيع شرقًا منتهيًا بميدان المناخة .

٧- شارع باب الكومة ، يبدأ من المناخة مقابل انتهاء شارع الساحة ، ويتجه غربًا منتهيًا بالسور الخارجي (سور محمد علي) .

٨- زقاق الطيار ، ويبدأ من المناخة ، كامتداد لشارع العينية ، ويتفرع بعد بدايته بمسافة قصيرة إلى فرعين ، الأيمن يستمر حاملاً نفس الاسم والأيسر يطلق عليه حارة السيح .

٩- شارع العنبرية ، ويبدأ من مسجد الغمامة بالمناخة ، وينتهي بميدان المحطة ، وهو شارع واسع ومستقيم تقع عليه بعض المباني المهمة مثل التكية المصرية والقشلة .

١٠- شارع النخاولة ، ويمتد من شارع درب الجنايز متجهًا جنوبًا إلى أن يصل إلى البساتين التي تقع داخل السور .

١١- شارع الجديدة ، يبدأ من جنوب ميدان المناخة متجهًا جنوبًا ، وينتهي بطريق ضيق مسدود .

هناك شوارع فرعية ، منها شارع باب التمار ، وشارع الدوريشية ، وشارع الأبارية ، وشارع المحمودية ، وشارع ذروان .

يذكر رابح لطفي جمعة أن شوارع المدينة المنورة أضيق من شوارع جدة ومكة المكرمة ، خصوصًا ما كان منها حول الحرم ، وأحسن شارع فيها ، وهو أطول حاراتها ، اسمه « الساحة »، وتقع عليه أحسن المباني . وتسمى أغلب حارات المدينة بالأزقة لضيقها ، إذ لايزيد عرض الزقاق منها عن متر ونصف . ومن هذه الأزقة التي تقع شمال الحرم زقاق الخياطين ، وزقاق الحبس ، وزقاق السجاجيد ، وزقاق البدور ، وزقاق الأغوات ، وزقاق الكبريت ، وزقاق القماشين ، وزقاق حيدر ، وزقاق الحجامين ، وزقاق مالك [١٣ ، ٧٣] .

كما يذكر ابن عبد السلام الدرعي أن المسجد قد دارت به أزقة متسعة نظيفة ولم يغرز لأحد خشبة في جدرانه بل لم تتصل به دار ، ولا فتحت إليه طاقة ولا شباك يشرف منه إليه ، بعكس المسجد الحرام[٥ ، ١٥٧] . كما أشار السمهودي إلى ثلاثة شوارع ، هي الشارع المؤدي إلى البقيع الذي أطلق عليه « الطريق العظمى » ، وكان عرضه ٥ أذرع (٥ , ٢م) ، والشارع الموصل من باب السلام إلى السور الغربي بالقرب من المصلى ، والشارع الموصل من باب الرحمة إلى الباب الشامي مارًا بسوق العطارين [٢ ، ٢٥٠] .

ويذكر البتنوني [١٠ ، ٢٥٣] أن ضيق الأزقة بالمدينة مضرب المثل ، فما يكاد يضاهيه مما بمكة شيء على ما أسلف من ضيق طرقها . فمن أزقة المدينة ما لا يتسع لأكثر من اثنين يسيران جنبًا إلى جنب ، فإذا لقيهما غيرهما لم يكن بد من أن يتنحى أحدهما وأن يسير وراء صاحبه (شكل ٢٠) . ويذكر لبيب بك البتنوني في الرحلة الحجازية من أسماء أزقة المدينة زقاق البقر ، وزقاق الخياطين ، وزقاق الحبس ، وزقاق عانقني ، وزقاق السماهيدي ، وزقاق البدور ، وزقاق الأغوات ، وزقاق ياهو ، وزقاق الكبريت ، وزقاق القماشين ، وزقاق الحجامين ، وزقاق

شكل ٢٠. نماذج من الأزقة الضيقة.
المصدر: المؤلف، عام ١٤٠٥هـ.

مالك . كما يذكر البتنوني أن حارات المدينة نظيفة ، وأن ضيقها يساعد كثيراً على تلطيف الحرارة فيها زمن الصيف [١٠ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤] .

٨. الحـــــارات والأحـــــواش

كانت المدينة مجزأة إلى أحياء سكنية منفصلة عن بعضها في فترة ما قبل الإسلام ، حيث كانت كل قبيلة تسكن حيًا منفصلاً . لذلك تكونت أحياء خاصة باليهود مثل أحياء بني النظير وبني قريضة وبني قينقاع [٩ ، ٢٤] . استمرت هذه الأحياء باقية على تكوينها في فترة الإسلام الأولى . وبعد بناء المسجد النبوي التفت المنازل حوله . وبدخول القبائل العربية في الإسلام وفدت بعضها على المدينة فكونت لها أحياء جديدة بمساجد خاصة بها .

كانت الأحياء السكنية في العصرين الأموي والعباسي تقع ضمن منطقة الحرم ، ثم اتسعت وامتدت في العصر العثماني إلى مختلف الاتجاهات مكونة أحياء جديدة أحيطت بأسوار خارجية . وأهم هذه الأحياء : العنبرية ، وزقاق الطيار ، والسيح وباب قباء ، والجديدة ، والشونة ، وباب المجيدي ، وباب الكومة .

تختلف وظيفة كل حي باختلاف موقعه ، فالأحياء الملاصقة للحرم يسكنها المؤذنون وخدام الحرم ، والأحياء القريبة من السوق يسكنها عادة التجار ، والتي بالقرب من ورش الحرف اليدوية يسكنها الصنّاع . وهناك أحياء تتركز فيها جنسية معينة مثل حارات المغاربة والشناقطة والتكارنة . كما أن هناك أحياء تقع خارج المدينة يسكنها البدو وتسمى « نزلة » ، مثل نزلي المغيسلة والجبور .

من أشهر الحارات وأقربها إلى الحرم حارة الأغوات التي تقع في الجنوب والشرق من الحرم النبوي (شكل ٢١) . تتألف أبنية الحارة من البيوت السكنية والأربطة الموقوفة على طلاب العلم والمحتاجين . ومن الأحياء المهمة ، حارة الساحة التي تعد من أطول الحارات في المدينة المنورة .

تجمع المدينة المنورة في تكوينها العمراني التقليدي بين الحارة وهي النمط العمراني الشائع ، والحوش الذي تختص به عن غيرها من المدن الإسلامية . وتتكون الحارة من شارع رئيس يسمى بالحارة تتفرع منه طرقات تصطف عليها المساكن . وتتصف بعض الحارات بأنها تفضي مباشرة إلى الأحواش دون المرور عبر الطرقات .

يتكون الحوش من ساحة مفتوحة تحيط بها المنازل من جميع الجهات ، وتفتح هذه الساحة على طريق رئيس من خلال بوابة تغلق ليلاً أو عند الضرورة (شكل ٢٢) . ويتراوح ارتفاع

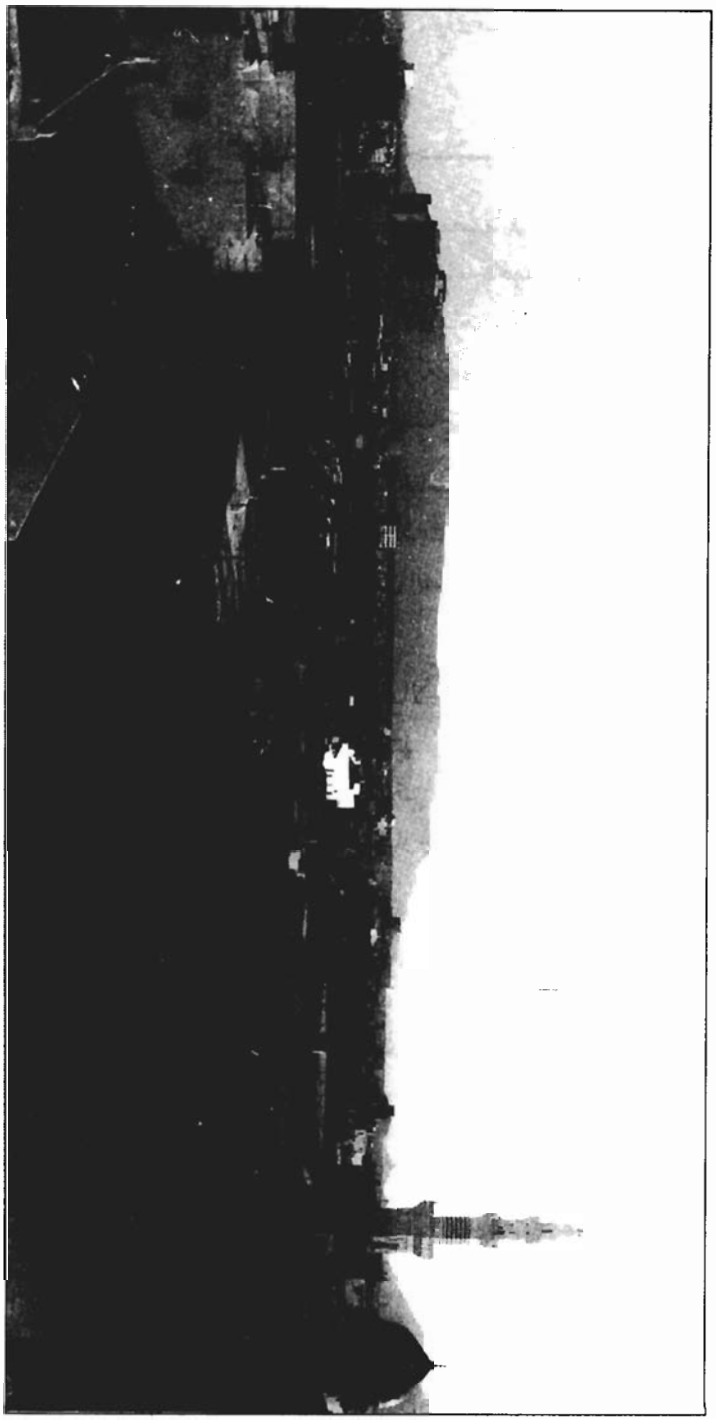

شكل ٢١. حارة الأغسوات من الجهة الشمالية الشرقية.
المصدر: المؤلف، عام ١٤٠٥هـ.

مبانيها ما بين ١ إلى ٣ أدوار حسب قربها من الحرم . وتختلف الأحواش في مساحتها ، حيث تتراوح مساحة الحوش ما بين ٨٠ إلى ٤٧٠٠ مترًا مربعًا ، ويصل عددها إلى ٧٨ حوشًا [١٤] .

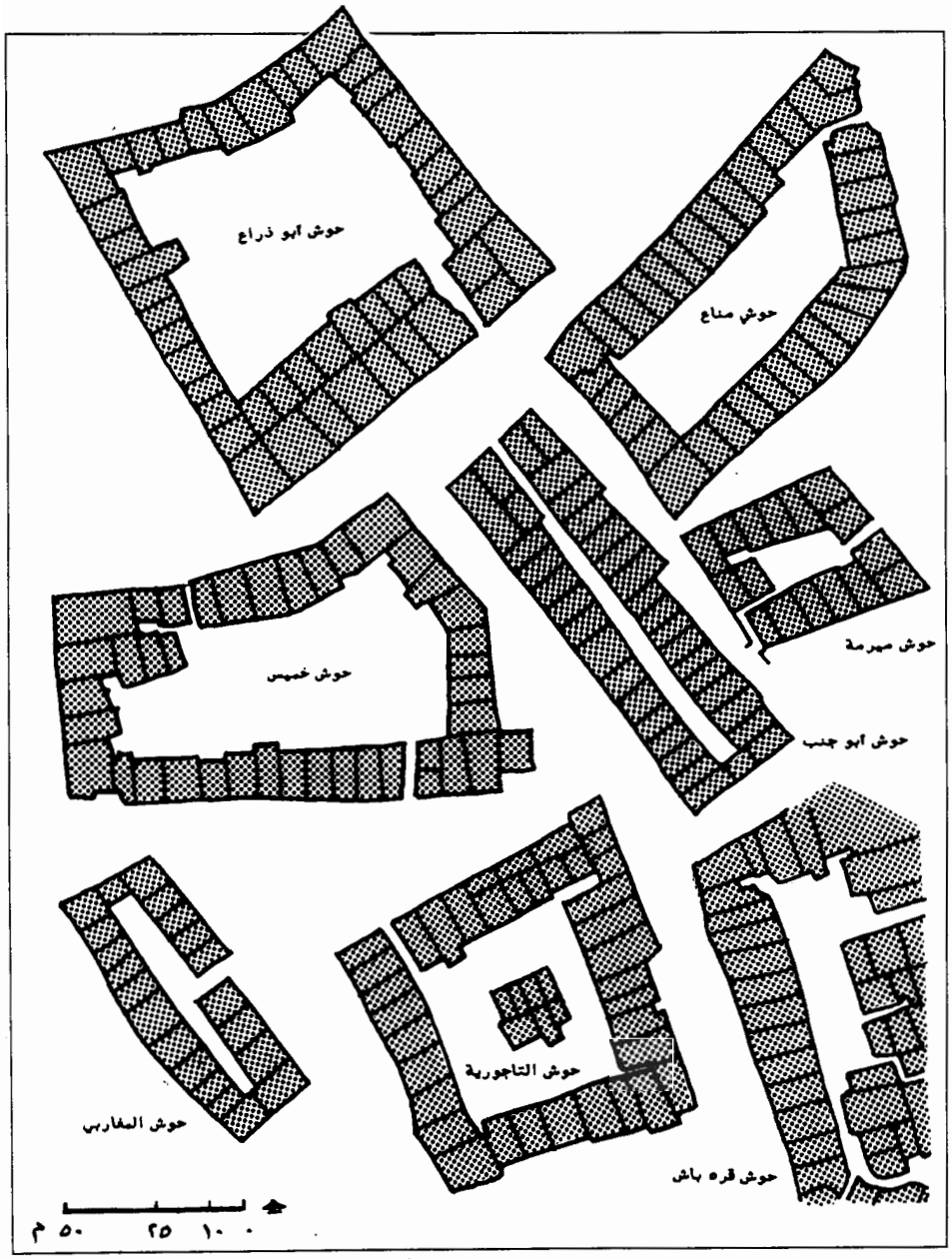

شكل ٢٢. نماذج من الأحواش .
المصدر : مرجع رقم [١٤] .

وقد كان للأحواش أهمية بالغة في تشكيل الكتل العمرانية واتصالها ببعضها وفي التخفيف من تراص وتزاحم الكتل البنائية .

٩. الفراغـــات العمرانيـــة

يشتمل النسيج العمراني للمدينة المنورة على مجموعة من الفراغات المفتوحة المختلفة المساحات ، ويختص كل منها بوظيفة معينة تتحدد حسب موقعها . ويلاحظ من الشكل ٢٣ أن المنطقة المحيطة بالحرم النبوي الشريف تكاد تخلو من هذه الفراغات ، وذلك نتيجة لكثافة

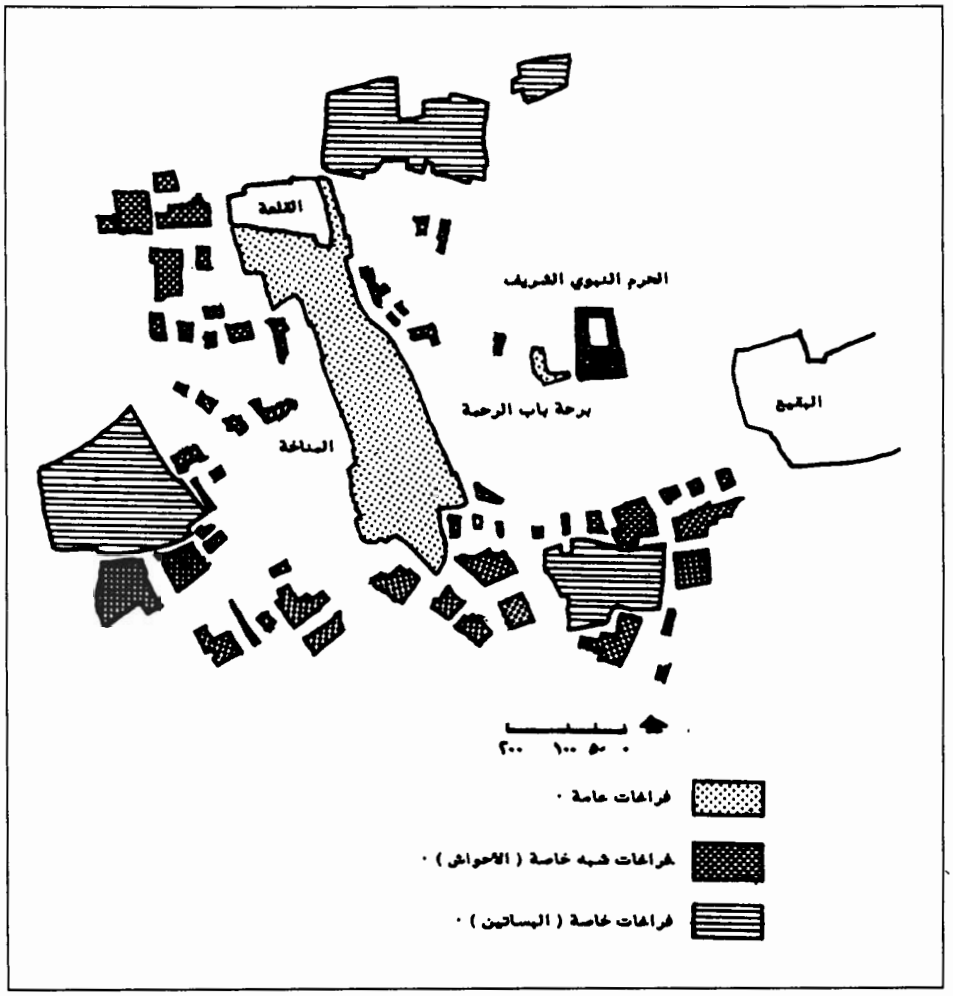

شكل ٢٣. الفراغـــات العمرانيـــة .
المصدر : مرجع رقم [١٨] .

استخدام الأرض وندرتها . وتشتمل الفراغات العمرانية هنا على ما بداخل الأسوار من الميادين والساحات العامة ، ومجموعة الأحواش ، والمناطق الخضراء المتمثلة في مجموعة من البساتين الخاصة . ويمكن تصنيف الفراغات العمرانية إلى الفئات التالية :

٩,١ أماكن عامة (الساحات والميادين)

تعد المناخة الميدان الرئيس للمدينة المنورة ، وتقع في منطقة متوسطة بين معظم أحياء المدينة السكنية ويستخدمها جميع الأهالي . وللمناخة استخدامات عديدة منها التجاري ، والإداري ، والترفيهي ، وتبلغ مساحتها ٦٩٨٦٠ م^2 وتمثل ٨٪ من مجمل مساحة المدينة المنورة[١١] . كما أن هناك ساحة صغيرة تقع غرب الحرم النبوي الشريف تسمى برحة باب الرحمة ، تتركز حولها النشاطات التجارية ، وتصب فيها ثلاثة شوارع رئيسة هي سويقة والعينية والساحة (شكل ٢٤) .

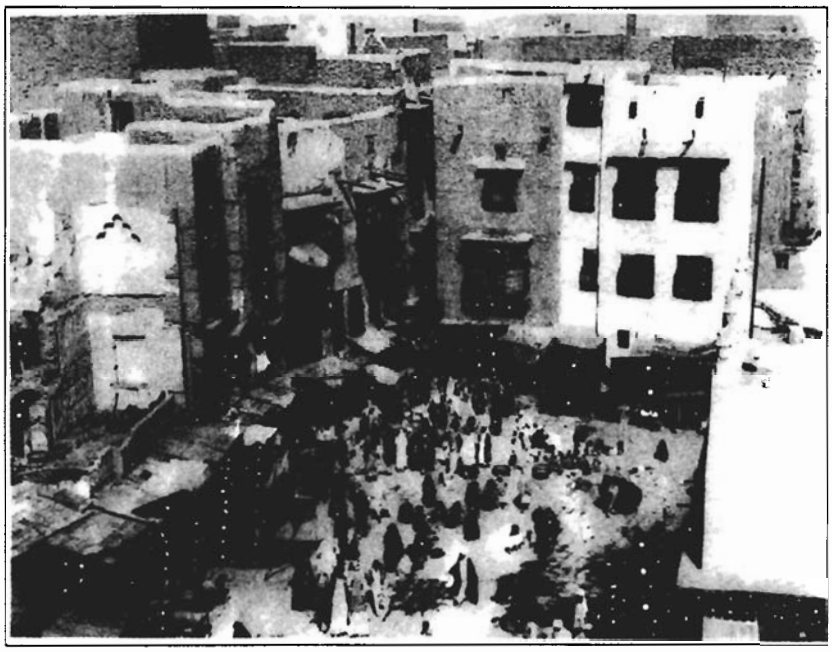

شكل ٢٤. برحة باب الرحمة .
المصدر : مرجع رقم [١٧] .

٩,٢ فراغات شبه خاصة (الأحواش)

تتكون الأحواش من مساحات صغيرة تحيط بها المساكن من جميع الجهات ولها أبواب تقفل ليلاً ، ويبلغ عددها ٧٨ حوشًا ، ومجموع مساحتها ٩٤٠١٣ م^2 . وتتركز الأحواش في

المناطق الغربية ، والجنوبية ، والجنوبية الغربية ، من المدينة المنورة .

٩,٣ *فراغـــــات خاصـــــة (البساتـــين)*

تشكل البساتين الفراغات الأكبر مساحة داخل الأسوار ، وهي ملكيات خاصة يتمكن الأهالي من التنزه فيها في المناسبات بإذن من أصحابها . ومن أشهر هذه البساتين : الصافية ، والكاتبية ، والهاشمية ، وبضاعة ، والفيروزية ، والسلطانية .

١٠. الكتـــــل العمـــرانيـــــة

اتصفت المدينة المنورة بنمط عمراني فريد تشكل على مر السنين معطيًا نموذجًا حيًا للمدينة الإسلامية . وتتكون البنية العمرانية التقليدية للمدينة المنورة من كتل متراصة من المساكن ، والمتاجر ، والمدارس ، والمكتبات ، والأربطة التي تحيط بالمسجد النبوي الشريف . وتتكون رقعة المدينة المنورة من خمس كتل عمرانية متميزة تفصلها الأسوار ، والطرق الرئيسة ، وميدان المناخة ، ووادي أبو جيدة ، عن بعضها ، كما هي مبينة في الشكل ٢٥ ، كما يلي :

١- الجزء القديم المحاط بالسور الداخلي الذي يتصف بتراص البنيان ، وضيق الشوارع والطرقات وتعرجها ، وندرة الميادين والساحات عدا عدد محدود من الأحواش والبرحات الصغيرة . نتج ذلك عن وجود الحرم النبوي الشريف ضمن هذه الكتلة ، وتتركز النشاطات التجارية والثقافية والدينية حوله (شكل ٢٦) . وتزداد الكثافة السكانية في هذا الجزء من المدينة عن غيرها ، حيث إنها تستوعب أكبر عدد من الزوار في مواسم الحج ، مما أدى إلى ارتفاع بيوتها إلى ثلاثة وأربعة طوابق . وأشهر أحياء هذا الجزء حارة الأغوات ، والساحة ، وذروان ، وزقاق الطوال ، وسقيفة الأمير ، وسقيفة الرصاص ، وسويقة ، وشارع العينية . وتمثل سويقة الشارع التجاري الرئيس الذي يصل بين الحرم والسوق الكائن بالمناخة خارج باب المصري . وقد فتح شارع العينية موازنًا لسويقة في زمن فخري باشا حاكم المدينة من قبل الدولة العثمانية ، ثم تحول فيما بعد إلى شارع تجاري يتصف بالاستقامة والسعة مقارنة بغيره من الشوارع المجاورة .

٢- الكتلة الشمالية وتتكون من حارات باب المجيدي ، والجنان ، وباب التمار . يتخلل هذه الكتلة ساحات واسعة من البساتين أشهرها الفيروزية ، وبضاعة ، والتواتية (شكل ٢٧) . ويفصل هذه الكتلة عن الجزء القديم السور الداخلي وشارع السحيمي ، ويصلها بالحرم النبوي الشريف شارع باب المجيدي . ويلاحظ أن هذه الكتلة تنقسم إلى حيازات من الأراضي المنتظمة الشكل ، حيث تقسمها شوارع أكثر استقامة من شوارع الجزء القديم . يشبه نمط

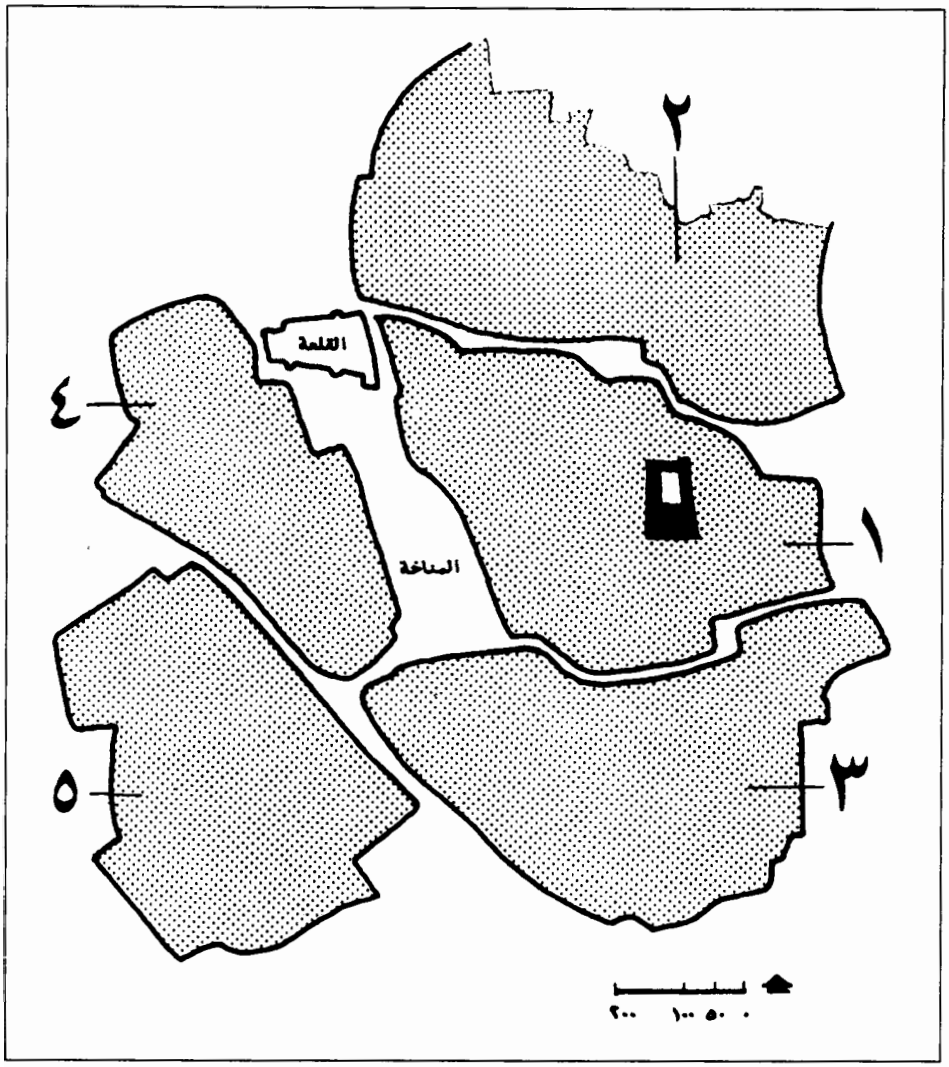

شكل ٢٥. الكتـــل العمرانيـــة الرئيســـة .
المصدر : مرجع رقم [١٤] .

الشوارع والطرقات هنا فروع الشجرة ، حيث تتجمع الطرقات الفرعية في شوارع رئيسة تتقابل في فسحة يتفرع منها شارعي باب المجيدي والسحيمي ، وتخلو هذه المنطقة من الأحواش ، وتمثل بشكل واضح نظام الحارة المعروف بطريق رئيس يتفرع منه طرقات وأزقة فرعية تصطف عليها المساكن .

٣- الكتلة الجنوبية وتتكون من حارة التاجوري ، وشارع النخاولة ، ودرب الجنايز المحاذي

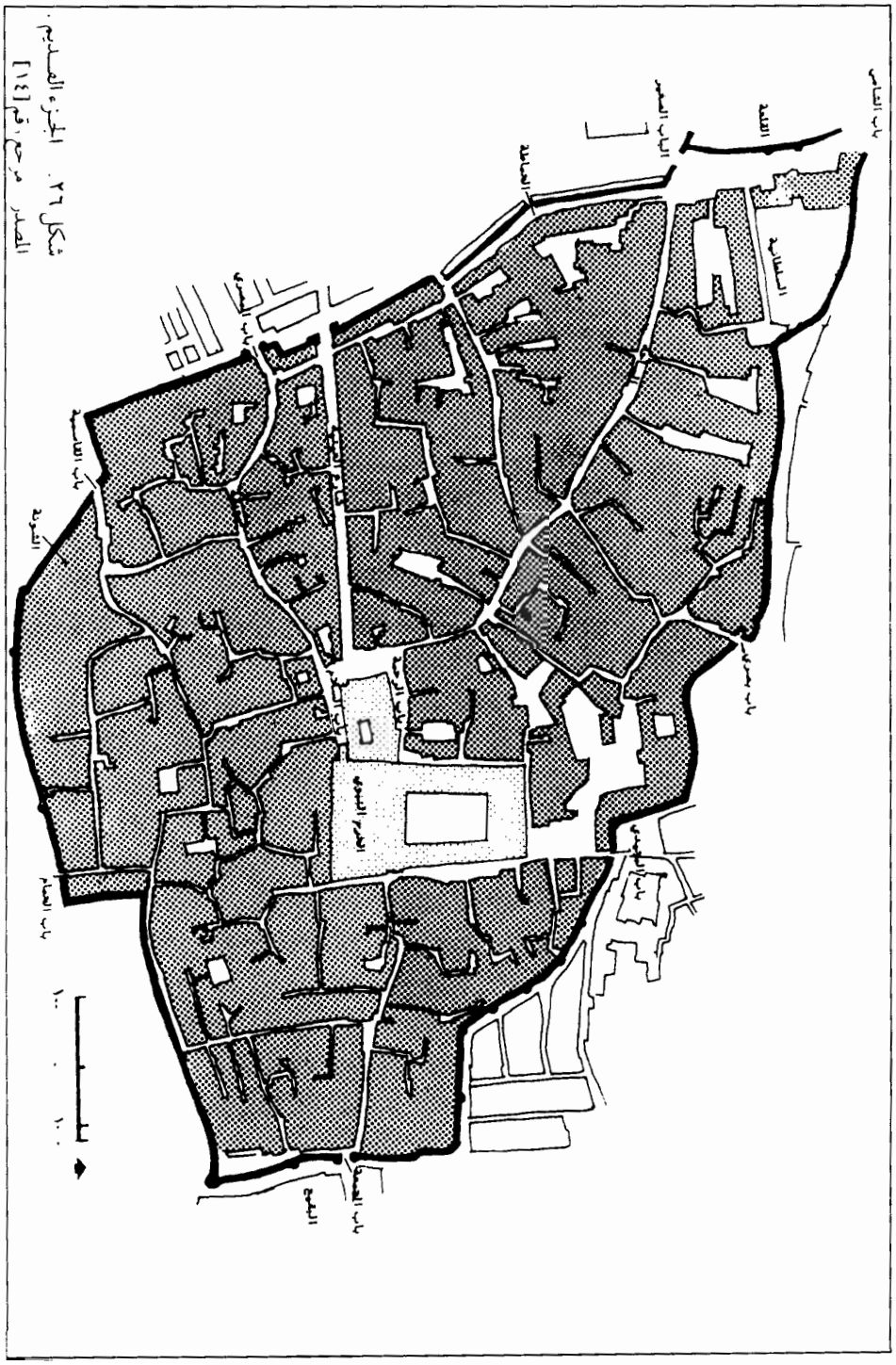

شكل ٢٦. الجزء القديم.
المصدر: مرجع رقم [١٤]

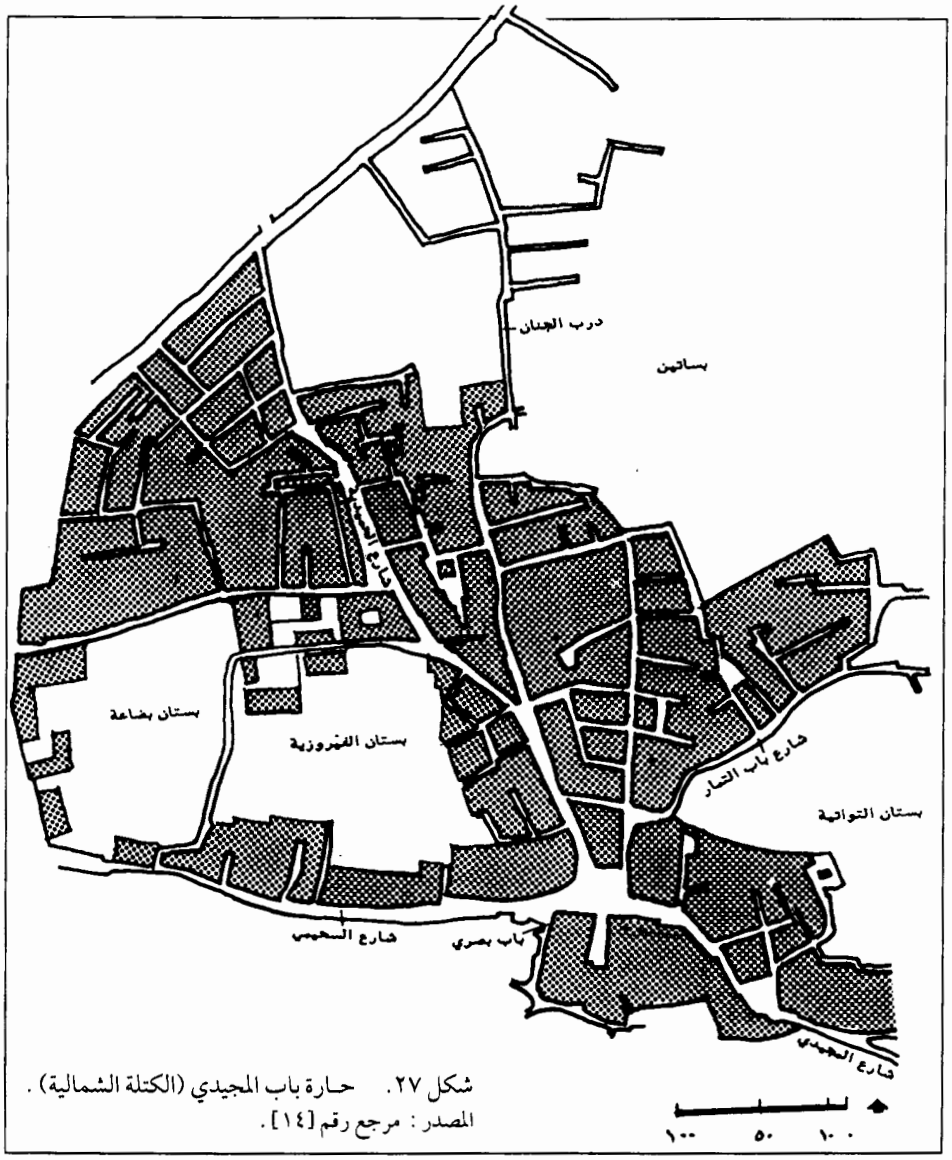

شكل ٢٧. حارة باب المجيدي (الكتلة الشمالية).
المصدر: مرجع رقم [١٤].

٣- الكتلة الجنوبية وتتكون من حارة التاجوري، وشارع النخاولة، ودرب الجنايز المحاذي للسور الداخلي الذي يفصلها عن الجزء القديم. تتكون هذه الكتلة من مساحات مفتوحة لعدد كبير من الأحواش يصل إلى ٢٤ حوشًا، بالإضافة إلى بستان الصافية الذي يتوسط الكتلة، وبعض البساتين الصغيرة. وتتكون التركيبة العمرانية للكتلة من ثلاثة شوارع رئيسة تفتح عليها الأحواش (شكل ٢٨). وتتصف الأحواش بالتباين في مساحتها وأشكالها وتغير ملامح بعضها، نتيجة لامتداد البناء داخلها.

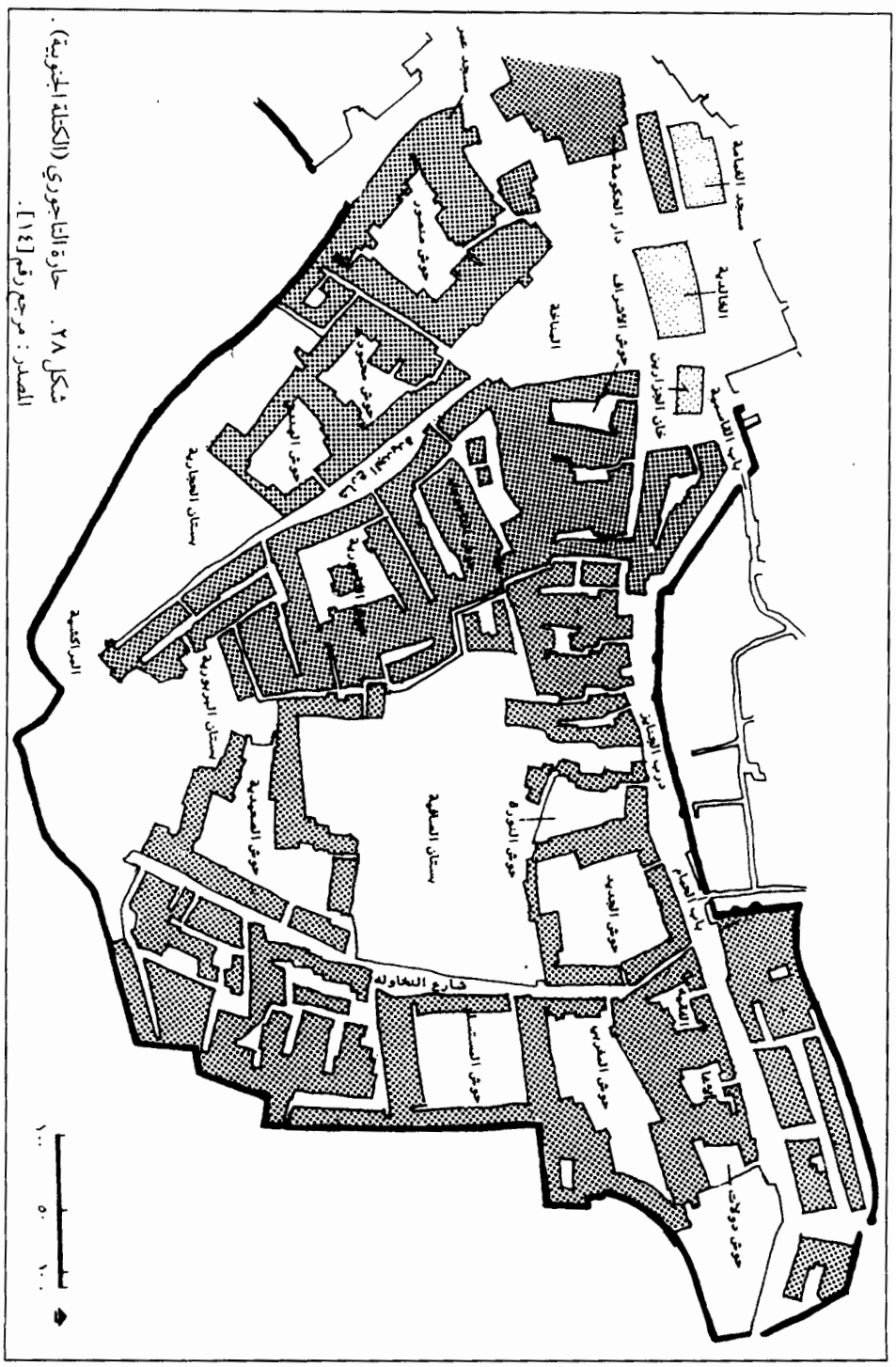

شكل ٢٨. حارة الناجوري (الكتلة الجنوبية).

المصدر: مرجع رقم [١٤].

٤- الكتلة الغربية وتتكون من حارة باب الكومة ، وزقاق الطيار ، والسيح ، ويفصلها عن المنطقة القديمة ميدان المناخة . تضم هذه الكتلة ٢٨ حوشًا تصطف على طول شارع باب الكومة ، وزقاق الطيار ، وحارة السيح . يتضح من الشكل ٢٩ أن هذه الكتلة أكثر تراصًا في البنيان من سابقتيها الشمالية والجنوبية لخلوها من البساتين . وقد شكل وادي أبو جيدة حاجزًا طبيعيًا لامتداد هذه الكتلة من جهة الغرب . كما أثر الوادي في اتجاه زقاق الطيار نحو الشمال الغربي لكي يوصل لأبعد نقطة ممكنة من الحارة . وقد تميزت البيوت الواقعة على حافة المناخة

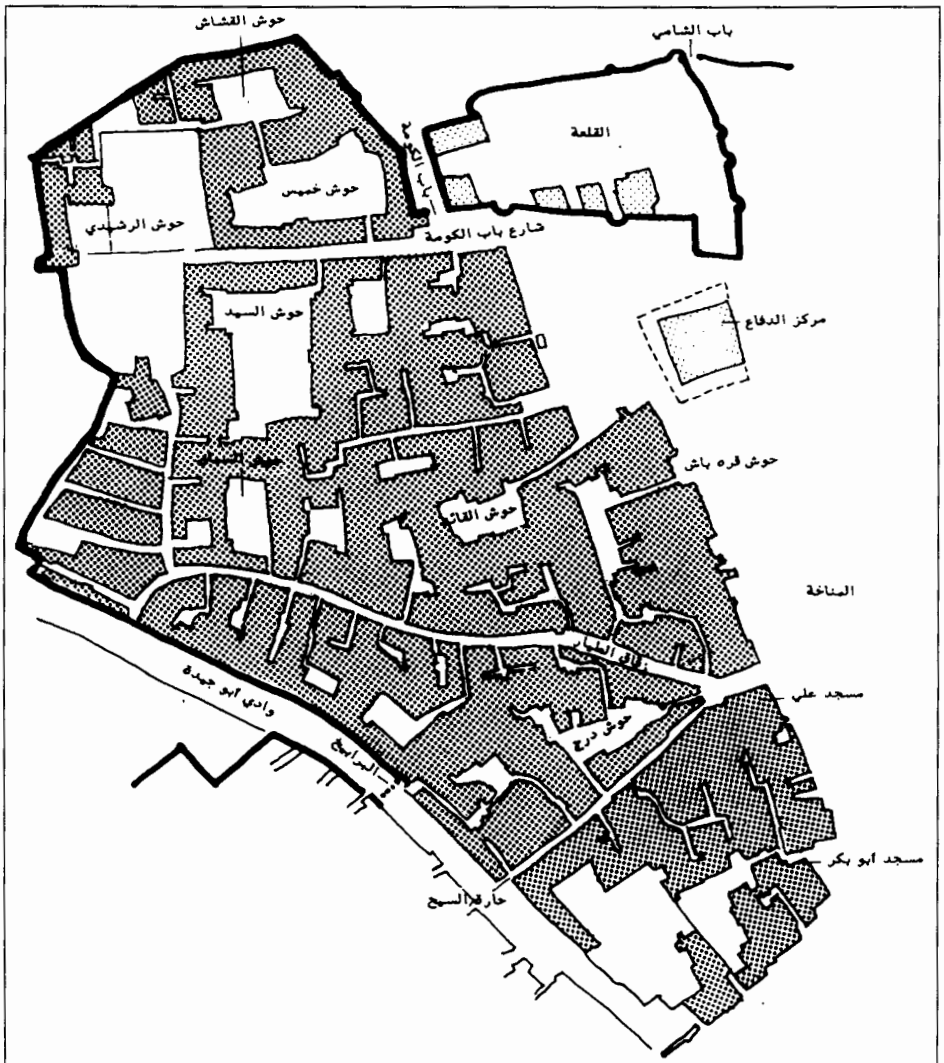

شكل ٢٩. حارة باب الكومة وزقاق الطيار (الكتلة الغربية).
المصدر : مرجع رقم [١٤] .

بإطلالة جيدة على هذا الميدان الفسيح .

٥- الكتلة الجنوبية الغربية ، ويطلق عليها باب العنبرية ، وتضم ١٤ حوشًا . ويفصل وادي أبو جيدة هذه الكتلة عن بقية المدينة ، حيث يربطها جسر شيد على الوادي . وتتكون هذه الكتلة عمرانيا من شارع رئيس واسع هو شارع العنبرية ، يبدأ من أمام مسجد الغمامة وينتهي بميدان محطة القطار . يقع على هذا الشارع في نهايته الغربية مبنيين مهمين ، هما ثكنة الجيش (القشلة) ومبرة محمد علي (التكية المصرية) . ويحتل بستاني الهاشمية في الجهة الشمالية والكاتبية في الجهة الجنوبية مساحة كبيرة من هذه الكتلة ، شكل ٣٠ .

بمقارنة الكتل الخمس ببعضها يتضح التباين في نمطها العمراني ، ويتلخص هذا التباين في التالي :

* تراص البناء في المناطق المحيطة والقريبة من الحرم النبوي الشريف .
* انتشار نمط الأحواش في الامتداد العمراني للمدينة المنورة من جهات الغرب ، والجنوب ، والجنوب الغربي ، وخلو الكتلة الشمالية (باب المجيدي) منها .
* اندماج المناطق الخضراء مع الكتل البنائية في الجهات الشمالية ، والجنوبية ، والجنوبية الغربية نتيجة للامتداد العمراني الذي احتل مساحات من المناطق الخضراء التي كانت تحيط بالمدينة المنورة من جميع الجهات .
* تبدو الشوارع والأزقة في المنطقة القديمة أكثر تعرجا وضيقا من المناطق الأخرى .

وبإجراء مقارنة بين مساحات الأحواش ، والبساتين ، والمباني العامة ، والطرقات ، والمساكن للكتل العمرانية الخمس ، كما هو مبين في الجدول ١ ، والشكل ٣١ يتضح ما يلي :

* تقارب نسب مساحات الأحواش في الكتل الجنوبية ، والغربية ، والجنوبية الغربية ، حيث تتراوح ما بين ٤ , ١٤٪ إلى ٥ , ١٧٪ .
* تباين نسب مساحات البساتين في الكتل الخمس ، حيث تقل في الجزء القديم والكتلة الجنوبية ، وتبلغ ٦ , ٨ و ٢ , ٦٪ ، وتزيد بشكل ملحوظ في الكتل الشمالية والجنوبية والجنوبية الغربية فتبلغ ٢ , ٢٥٪ و ٦ , ٢٣٪ و ٣٣٪ .
* تتركز المباني العامة في الجزء القديم والكتلة الجنوبية الغربية ، وتمثل في الجزء القديم ٦ , ٨٪ وهي الحرم النبوي الشريف والمكتبة المحمودية ، أما في الكتلة الجنوبية الغربية فتبلغ ٧ , ١٤٪ وتمثل القشلة والتكية المصرية .
* تتقارب نسب مساحات الطرقات بشكل ملحوظ ، حيث تنحصر ما بين ٦٪ و ٨ , ١٠٪ .

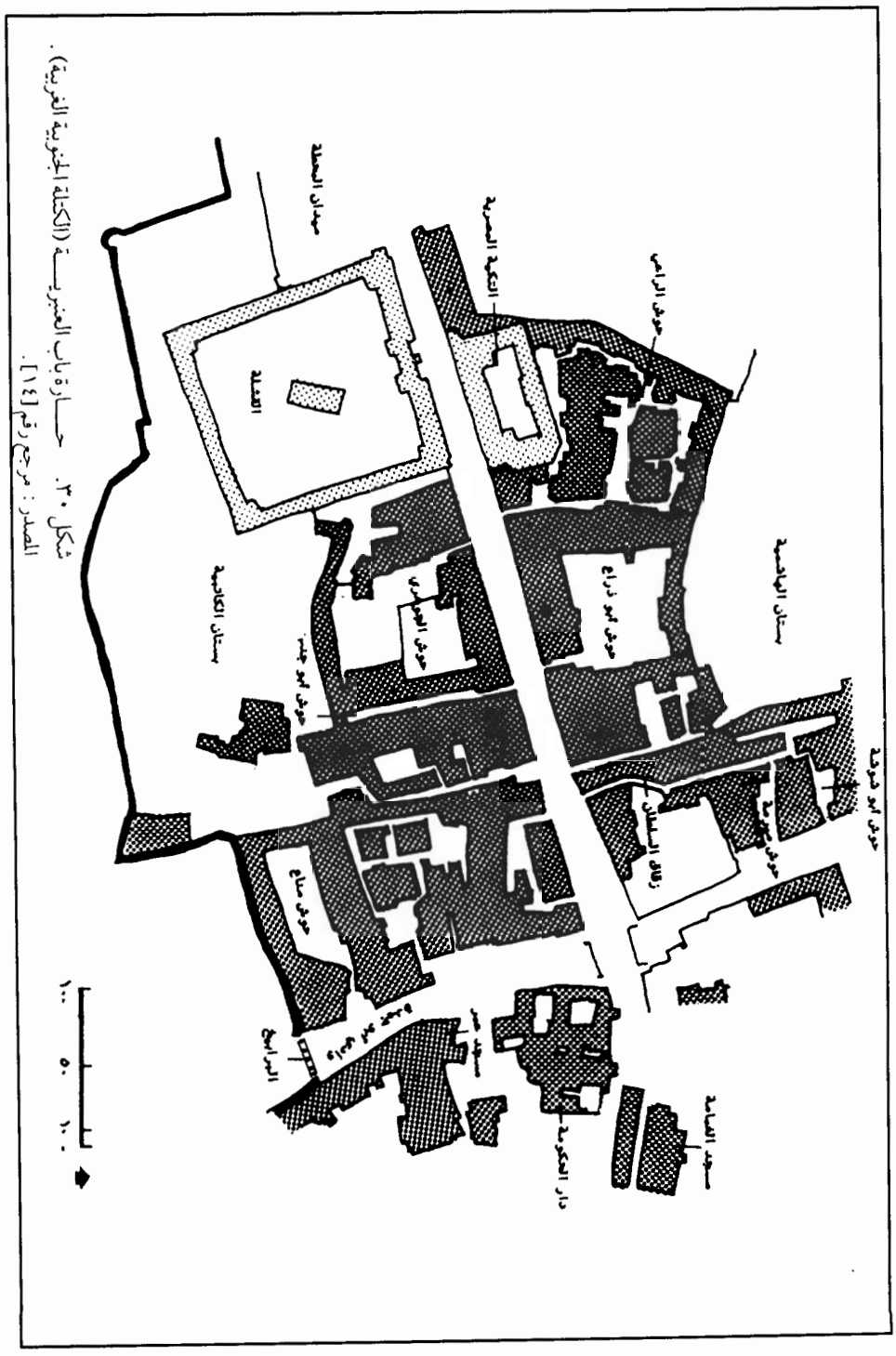

شكل ٣٠. حـــارة باب العنبريـــة (الكتلة الجنوبية الغربية).

المصدر: مرجع رقم [١٤].

جـــدول ١. مساحات الأحواش والبساتين والمباني العامة والطرقات والمساكن في الكتل العمرانية .

الكتل العمرانية	عدد الأحواش	مساحة الأحواش		مساحة البساتين		مساحة المباني العامة		مساحة الطرقات		مساحة المساكن		المساحة الكلية
		م٢	٪	م٢	٪	م٢	٪	م٢	٪	م٢	٪	
١ الجزء القديم	١٢	٤٩٢٠	٢	٤١٠٠	١,٧	٢١٢٠٠	٨,٦	٢٥٧٥٠	١٠,٥	١٨٩٦٣٠	٧٧,٢	٢٤٥٦٠٠
٢ الكتلة الشمالية	–	–	–	٣٦٦٠٠	٢٥,٢	–	–	١٥٧٠٠	١٠,٨	٩٣٠٠٠	٦٤	١٤٥٣٠٠
٣ الكتلة الجنوبية	٢٤	٣٨٩٢٦	١٦,٥	٥٥٦٠٠	٢٣,٦	–	–	١٧٤٥٠	٧,٤	١٢٣٧٢٤	٥٢,٥	٢٣٥٧٠٠
٤ الكتلة الغربية	٢٨	٢٢٣٥٢	١٤,٤	٩٥٠٠	٦,٢	–	–	٩٤٠٠	٦	١١٣٦٤٨	٧٣,٤	١٥٤٩٠٠
٥ الكتلة الجنوبية الغربية	١٤	٢٧٨١٥	١٧,٥	٥٢٧٠٠	٣٣,١	٢٣٣٥٠	١٤,٧	١٢٦٠٠	٧,٩	٤٢٧٣٥	٢٦,٨	١٥٩٢٠٠
المجمـــــــوع	٧٨	٩٤٠١٣	١٠	١٥٨٥٠٠	١٦,٩	٤٤٥٥٠	٤,٧	٨٠٩٠٠	٨,٦	٥٦٢٧٣٧	٥٩,٨	٩٤٠٧٠٠

ملاحظـــات :

- قيست المساحات بشكل تقريبي من الأشكال (١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥) .
- تشمل المباني العامة الحرم النبوي الشريف والمكتبة المحمودية الملاصقة له في الجزء القديم ، والقشلة والتكية المصرية في الكتلة الجنوبية الغربية . هناك بعض المباني العامة مثل المساجد والمدارس والمكتبات لم تضف مساحتها لصعوبة تحديدها على المخططات ولصغر مساحاتها .
- تعداد الأحواش ومساحاتها أخذ من مرجع [١٤] .

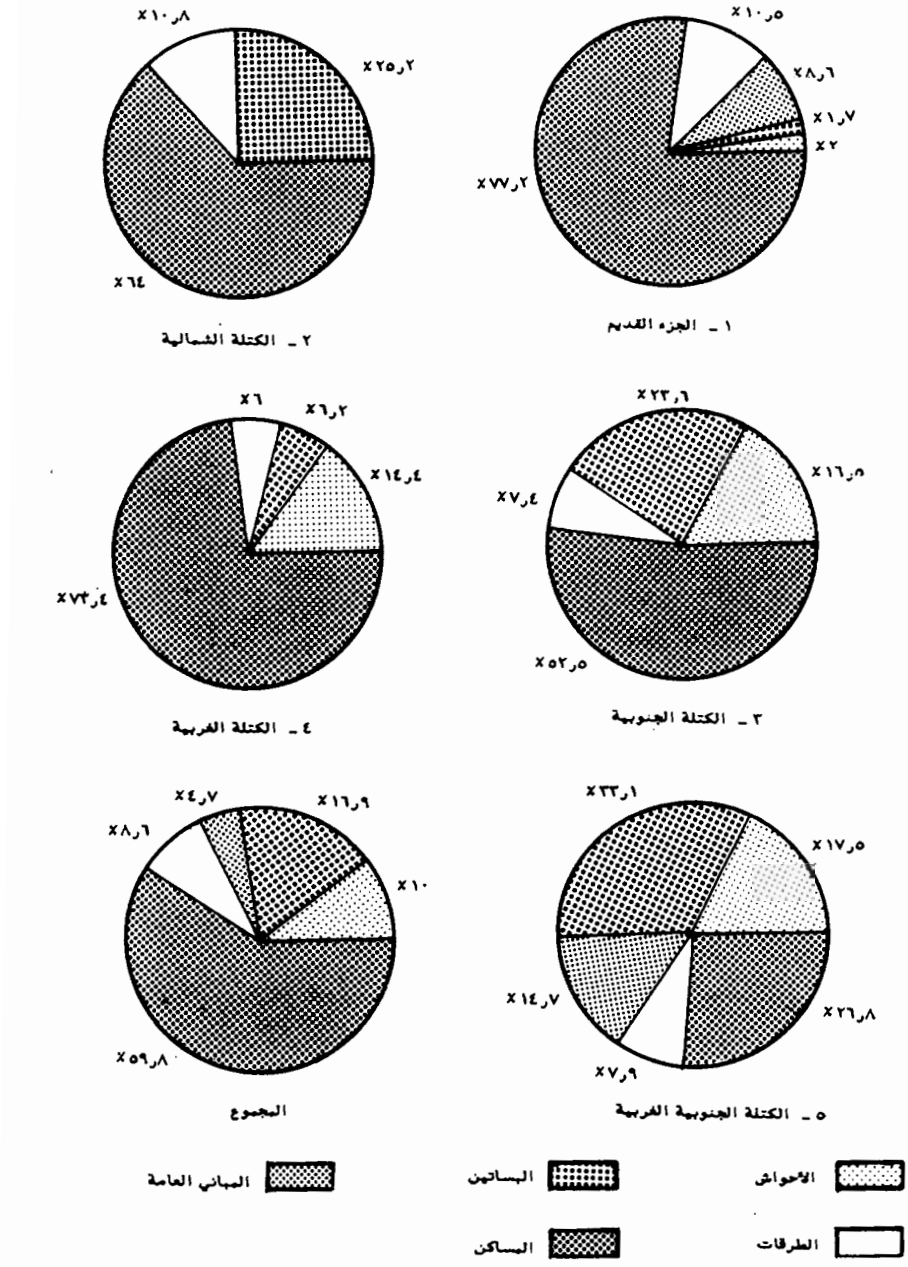

شكل ٣١. مقارنة نسب مساحات الأحواش ، والبساتين ، والطرقات ، والمساكن ، والمباني العامة للكتل العمرانية .

* العلاقة العكسية بين مساحات الأحواش والطرقات ، فكلما زاد عدد الأحواش كلما قلت مساحة الطرقات ، لأن قدرا من المساحات التي يقطعها المشاة تدخل ضمن مساحات الأحواش، ويظهر هذا جليًا في زيادة نسبة الطرقات في الجزء القديم والكتلة الشمالية عنها في الكتل الأخرى .

* تتراوح نسب مساحات المساكن ما بين النصف والثلاثة أرباع في الكتل الأربع الأولى ، وتقل بشكل ملحوظ في الكتلة الجنوبية الغربية ، حيث تصل إلى ما يقارب الربع ، وذلك نتيجة لزيادة نسبة البساتين والمباني العامة .

١١. الخاتمـــــــــة

تميزت المدينة المنورة بنمط عمراني متجانس وفر بيئة صالحة ومناسبة للمجتمع المدني ولزوار مسجد رسول الله ﷺ خلال القرون السالفة . يتصف هذا النمط بكتل عمرانية محددة المعالم تتصل ببعضها بشوارع رئيسة وحارات تقود المارة بسهولة ويسر إلى المركز ، حيث المسجد النبوي الشريف والسوق . ويستمتع المارة خلال سيرهم متجهين إلى المسجد أو عائدين منه ببيئات مختلفة تتجاوب لديهم عندها حواس السمع والشم والبصر مع أصوات الباعة والصيارفة ، والروائح المنبعثة من متاجر العطور والعطارين . إضافة إلى ذلك كان السوق ملائمًا لقضاء وقت ممتع بين التسوق ، ومقابلة الأصدقاء ، والتحدث مع الباعة وأصحاب الحوانيت .

تضم المدينة المنورة العديد من العناصر العمرانية التي تميز نمطها العمراني التقليدي عن غيره في المدن الإسلامية الأخرى . وتختلف هذه العناصر حسب أهميتها ، فالمسجد النبوي الشريف أهم عنصر عمراني في المدينة ، حيث تُبنى أهمية العناصر العمرانية الأخرى عليه . ويحتل المسجد المكانة الأولى والموقع الأوسط ضمن النسيج العمراني . وقد اتصف السوق التقليدي للمدينة بنمط فريد وتركيبة عمرانية متماسكة لا تقل أهمية عن أسواق المدن الإسلامية المشهورة ، مثل حلب ودمشق . وتشكل المساجد ، والمدارس ، والمكتبات ، والأربطة ، والحمامات عناصر عمرانية تتوزع في أنحاء المدينة ، معطية كل جزء منها صفة تميزه عن غيره ، وتقدم الخدمات للزوار والسكان على حد سواء . وهناك عناصر عمرانية أخرى لكل منها شكل ونمط مختلف وموقع معروف ، بحيث لا يتكرر في موقع آخر ، مثل القلعة ، والأسوار ، والقشلة ، ومحطة القطار ، والتكية المصرية . لهذه العناصر العمرانية مثيلاتها في المدن الإسلامية لكن مظهرها العمراني يختلف من مدينة لأخرى من حيث الحجم والشكل واستخدام المفردات المعمارية مثل الأقواس والقباب والأقبية .

كانت الفراغات العمرانية تتدرج من حيث الأهمية والوظيفة والمساحة ، فهناك الساحات والميادين العامة ، والأحواش التي تمثل الفراغات شبه الخاصة ، والفراغات الخاصة التي تتكون منها البساتين . وكانت هذه الفراغات تكمل بعضها البعض ، وتتوزع بشكل منتظم في أنحاء المدينة المنورة . أما عن الميادين العامة ، فيأتي فراغ المناخة في الصدارة ، حيث يتوسط المدينة ليخدم أنحاءها المختلفة ، ويقدم العديد من الخدمات لسكان وزوار المدينة المنورة .

وقد كان لنمو المدينة على مراحل مختلفة أثر واضح في تقسيمها إلى خمس كتل عمرانية تتفاوت أنماطها ، فالقسم القديم المحيط بالحرم النبوي الشريف يتصف بتراص البناء وصغر الفراغات والطرقات ، بينما تنتشر الأحواش والبساتين في المناطق التي ظهرت خارج السور القديم . وتختلف مساحات ونسب الأحواش ، والبساتين ، والمباني العامة ، والطرقات ، والمساكن في الكتل العمرانية ، فنجدها تزيد في جهة وتنقص في أجزاء أخرى نتيجة للتالي :

* التغير في تشكيل النمط العمراني حسب مراحل نمو المدينة .
* زيادة الكثافة السكانية وتراص المباني في الكتلة القديمة لوجود الحرم النبوي الشريف فيها ، ولانحصارها ضمن حدود السور .
* ظهور الحاجة للأحواش في المناطق التي ظهرت خارج منطقة السور الداخلي .
* احتلال الامتداد العمراني خارج السور لأجزاء كبيرة من البساتين ، مما أدى إلى تكوين مساحات خضراء تحيط بها المناطق السكنية .

يتضح من المقارنات التي أُجريت بين نسب مساحات الأحواش ، والبساتين ، والطرقات ، والمباني العامة والمساكن كفاءة استخدام الأرض واستغلال كل جزء منها حسب الوظيفة التي أوجد من أجلها . ومن ذلك نجد أن المساكن تمثل الجزء الأكبر من مساحة الكتلة العمرانية ، حيث تتراوح نسبها ما بين ٥٢-٧٧٪ باستثناء الكتلة الجنوبية الغربية ، التي ترتفع فيها نسب مساحات الأحواش والبساتين والمباني العامة على حساب مساحة المساكن . وبالمقارنة بين مجموع مساحات الكتل العمرانية الخمس ، يتضح أن متوسط نسبة مساحات الرقعة السكنية تصل إلى ٦٠٪ . أما مساحات الطرقات فتكاد تكون نسبها ثابتة ، والفروق بينها طفيفة ، حيث تتراوح ما بين ٦-١١٪ ، وهذه نسبة متواضعة إذا ما قورنت بالمساحات التي تحتلها الشوارع في عصرنا الحاضر . وقد ساعد صغر مساحات الطرقات على توفير نظافة وصيانة المدينة ، وسهولة التحكم والإشراف عليها . وتتباين نسب مساحات البساتين بشكل واضح ما بين ٢-٣٣٪ ، لأن العمران جاء على أجزاء منها وترك أجزاء أخرى ، حسب الحاجة في ذلك الوقت . وكانت البساتين تشكل تلك الرقعة المفتوحة التي يؤخذ منها للبنيان كلما دعت الحاجة

إلى التوسع وبناء مناطق سكنية جديدة. وتتفاوت نسب مساحات الأحواش ما بين ٢-١٨٪ مع خلو الكتلة الشمالية منها، لأنها امتدت في مرحلة متأخرة عن الكتل الأخرى، ولم يكن هناك حاجة لوجود الأحواش. ويلاحظ أن الأحواش تنتشر في الكتل الثلاث الجنوبية، والغربية، والجنوبية الغربية وتتقارب نسبها، حيث تتراوح ما بين ١٤-١٨٪.

وإذا نظرنا إلى مجموع مساحة الكتل العمرانية الخمس التي كانت تشكل المساحة الكلية للمدينة المنورة باستثناء ميدان المناخة، نجد أنها لا تتجاوز الكيلو متر المربع، تمثل المناخة ٨٪ منها. وباعتبار أن عدد سكان المدينة المنورة بلغ عام ١٩٣١م ١٥٠٠٠ نسمة حسب تقدير فلبي[٨، ١٤٣]، تكون الكثافة السكانية حوالي ١٦٠ نسمة في الهكتار. وتعد هذه الكثافة عالية إذا ما قورنت بالكثافات السكانية في المدن الحديثة.

واليوم وقد أزيلت جميع المناطق التقليدية، تبرز الحاجة الماسة إلى توثيق وتسجيل النمط العمراني التقليدي وتحديد عناصره وخصائصه. إن هذا النمط لجدير بالدراسة والتحليل واستخلاص النتائج العلمية للاستفادة منها في رسم معايير تخطيطية يستفاد منها في بناء الأحياء الجديدة. ويحتاج الأمر إلى تضافر جهود الجهات المختصة من جامعات وهيئات وإدارات حكومية.

المراجـــــــع

[١] **المقدسي، أحمد بن محمد**، *أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم*، الجزء الثالث، ليدن، هولندا (١٩٠٩م).

[٢] **السمهودي، علي بن عبد الله**، *خلاصة الوفاء بأخبار دار المصطفى*، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، (١٣٦٧هـ).

[٣] **Burckhardt, J.L.,** *Travels in Arabia,* Henry Colburn, London (1968).

[٤] **Burton, R.,** *Personal Narrative of a Pilgrimage to El-Madinah and Meccah,* Dover Pub. Inc., New York (1964).

[٥] **الجاسر، حمد**، *ملخص رحلتي ابن عبد السلام الدرعي المغربي*، دار الرفاعي، الرياض (١٩٨٣م).

[٦] **Moritz B.,** *Bilder aus Palastina, Nord-Arabien and dem Sinai,* Reimer Berlin, p. 10 (1916).

[٧] **Rutter, E.,** *The Holy Cities of Arabia,* Putman London, p. 498 (1928).

[٨] **Philby, H. St. J.,** *A Pilgrim in Arabia,* Hale, London (1946).

[٩] **العباسي، أحمد بن عبد الحميد**، *عمدة الأخبار في مدينة المختار*، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة (بدون تاريخ).

[١٠] **البتنوني، محمد لبيب**، *الرحلة الحجازية*، مطبعة الجمالية، القاهرة (١٣٢٩هـ).

[١١] **الحصين، محمد عبد الرحمن**، المناخة: ميدان وسوق المدينة المنورة منذ أربعة عشر قرنًا من الزمان،

مجلة جامعة الملك سعود ، (العمارة والتخطيط) ، م٦ ، ص ص ٩٩-٤٣٤ (١٤١٤هـ) .

[١٢] **حافظ ، علي** ، *فصول من تاريخ المدينة المنورة* ، الطبعة الثانية ، شركة المدينة للطباعة والنشر ، جدة (١٤٠٥هـ) .

[١٣] **جمعة ، رابح لطفي** ، *حالة الأمن في عهد الملك عبد العزيز* ، دارة الملك عبد العزيز ، الرياض (١٤٠٢هـ) .

[١٤] **الحصين ، محمد عبد الرحمن** ، خصائص البنية العمرانية للأحواش بالمدينة المنورة ، *مجلة جامعة الملك سعود (العمارة والتخطيط)* ، م٤ ، ص ص ٣٧-٩١ (١٤١٢هـ) .

[١٥] **مصطفى ، صالح لمعي** ، *المدينة المنورة : تطورها العمراني وتراثها المعماري* ، دار النهضة العربية ، بيروت (١٩٨١م) .

[١٦] **رفعت ، إبراهيم** ، *مرآة الحرمين* ، دار الكتب ، القاهرة (١٩٢٥م) .

[١٧] **Bidwell, R.L.,** *Travellers in Arabia,* Hamlyn, London, New York, (1976).

[١٨] استخدمت أجزاء من مخطط مصلحة المساحة المصرية ، القاهرة (١٩٥٣م) في إعداد المخططات .

The Traditional Urban Pattern of Al-Madinah Al-Munawarah

MOHAMMAD A. AL-HUSSAYEN
Department of Architecture & Building Sciences
College of Architecture, King Saud University
Riyadh, Saudi Arabia

ABSTRACT. This study aims to define the characteristics of the urban pattern of Al-Madinah Al-Munawarah, and describes all its parts and quarters before the 1950's. It was based on description and analysis of the major urban elements, land use, circulation, streets pattern, neighbourhoods, and Al-Ahwash (clusters). To identify the urban pattern of Al-Madinah, the city was divided into five super blocks, each can be easily defined and has its own characteristics. This division helped to distinguish between the differences in the urban pattern. The study also included analysis of the solid and void pattern and outcome areas of Al-Ahwash, gardens, public buildings, roads and houses; and defined percentages of areas for each identified super block.